

كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

بطرس
الرسول الملتهب القلب

كتب ستودرت كنيدي عدة قصائد يذكرنا في إحداها بما يأتي:

ليس في الإنسان شيء كامل
ليس هناك كل ما هو تام
إنه مجرد بداية كبرى

أليس في هذه الحقيقة تكمن مأساتنا ويكمن رجاؤنا أيضاً؟ من «البداية الكبرى» يمكننا أن نغوص في المعصية أو نتقدم نحو الكمال كما فعل الرسول الذي نحن الآن بصدده، فإذا تأملنا في الإنسان على اعتبار أنه في موقف المسئولية، فالسؤال المطروح هو – أي طريق سوف يسلكه صعوداً أم هبوطاً؟ ليس المهم موقفه الآن بقدر أهمية الطريق الذي يتجه إليه، إنه لا يستطيع أن يقف في مكانه ثابتاً أو يظل في مكانه دون حراك. فلو كان لديه الطموح للاستمرار في الرحلة منذ بدايته، فإن طموحه للصعود سوف يحمله بعيداً. في أحيان كثيرة، يرتقي الناس في الأشياء المادية على حساب القيم الأخلاقية والروحية، ويجدون نفوسهم تهوى إلى أسفل. وكما سوف نكتشف، فإن يسوع رأى في بطرس رجلاً ذا طموح كبير للصعود، والذي إن أعطيناه الأهداف السليمة فإنها سوف تحمله إلى بعيد. إنه رجل لن يهدأ في البداية، بل يواصل التقدم نحو الكمال. صحيح أنه كان لدى بطرس أخطاؤه، لأنه كان بشراً بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ولكن العثرات والانتصارات لم تكن سوى السلم الذي ارتقى عن طريقه إلى ارتفاعات شاهقة، ولهذا السبب فإن قصة بطرس الجذابة مشجعة للآخرين الذين يحاولون الإرتقاء إلى أعلى من «نفوسهم الميتة صوب آفاق أعلى وأفضل».



١- الرسول الذي كان من قبل صياد سمك

لو استجمعنا كل ما قالته الأسفار المقدسة والتقليد والأسطورة عن سمعان بطرس، لتطلب الأمر أن نأخذ قطعة كبرى من القماش لنرسم عليها لوحة بالحجم الطبيعي لهذه الشخصية البارزة بين الرسل. سوف تحتاج لمعرض من الصور لتمثيل كل المشاهد المثيرة في تاريخه، لا يوجد واحد في الاثني عشر يعادل قيمة بطرس في العهد الجديد، وبسبب تعقيد طبيعته، فليس هناك شخص يصعب فهمه أكثر منه، يذكرنا الدكتور الكسندر وايت بالقول:

«تزخر الأناجيل الأربعة بشخصية بطرس فبعد اسم ربنا نفسه، لا اسم يتردد كثيراً كاسم بطرس، ولا يتحدث تلميذ مثل بطرس في عدد المرات أو كثرة الكلمات ويتحدث ربنا لبطرس أكثر من أي تلميذ آخر، تارة بالمديح وتارة باللوم. ليس هناك تلميذ لقى لوماً عنيفاً من ربنا كبطرس، وليس هناك تلميذ تجاسر على إلقاء اللائمة على معلمه

كبطرس. لم يعترف تلميذ آخر بجسارة ويقر علانية كما فعل بطرس ولم يشجع ربنا تلميذاً آخر كما فعل مع بطرس مراراً وتكراراً ولم يعترض أو يقاطع السيد تلميذ آخر كما فعل بطرس مراراً وتكراراً.

تحدث معلم بطرس بكلمات الموافقة، والمديح، بل وحتى البركة له كما لم يفعل مع أي إنسان آخر. وفي نفس الوقت، بل وفي نفس اللحظة، قال لبطرس أشياء أصعب مما قالها لأي واحد آخر من تلاميذه الاثنى عشر، باستثناء يهوذا.

نحن لا نعرف سوى القليل عن خلفية مثل هذه الشخصية البارزة، فكل ما تخبرنا به الأناجيل عن بطرس قبل أن يلتقي بالشخص الذي استطاع أن يجعله قناة لتوصيل البركة. أنه كان ابن يونا، ومواطناً من مدينة بيت صيدا الصغيرة (يو ١:٤٤)، على ضفاف الجليل، وهي مدينة كثيراً ما كان يسوع يعمل ويعلم فيها. ومع أننا نعرفه كبطرس إلا أن الاسم أعطى له بعد أن عرف يسوع، لأن اسمه الأصلي هو سمعان.

دعنا نلقي نظره على معنى الأسماء التي كان يحملها (مت ١٠:٢، مر ٣:١٦، لو ٤:١٦، أع ١٥:١٤).

سمعان بار- يونا

سمعان هو الصيغة المعتادة للاسم المعطى له، كلمة بار تعني «ابن» ويونا تعني «يوحنا» ولذا فإن مغزى هذه التسمية هو سمعان ابن يوحنا، كان سمعان اسماً يهودياً في الأيام الأخيرة من تاريخ إسرائيل، ومع أنه لم يكن موجوداً في العهد القديم، إلا أنه استعمل في فترة ما بين العهدين وفي بداية العهد الجديد (لو ٢:٢٥).

يدعو يعقوب أخو الرب بطرس «سمعان» (أع ١٥:١٤) وهناك ترجمة قديمة لرسالة بطرس الثانية تذكر «سمعان بطرس» في التحية الافتتاحية، وهناك ذكر لهذا الاسم في العهد القديم، حيث أن «شمعون» هي صيغة «سمعان» في العهد القديم، وهناك سبط سمى بهذا الاسم على اسم أحد أبناء يعقوب (تك ٤٩:٥).

منذ وقت المكابيين، كان الاسم «سمعان» واحداً من أكثر الأسماء اليهودية شيوعاً ومن بين الاثنى عشر رسولاً كان هناك اسمان بهذا الاسم واثنان يحملان الاسم يهوذا، في الحقيقة، هناك تسعة أشخاص في العهد الجديد يحملون الاسم سمعان:

سمعان بطرس
سمعان الغيور
سمعان القيرواني
سمعان الأبرص
سمعان أخو الرب
سمعان الفريسي
سمعان الإسخريوطي
سمعان ماجوس
سمعان الدباغ

وسواء كتب الاسم سمعان في اللغة الإنجليزية بهذا الشكل (Simeon) أو بهذا الشكل (Simon) فهما مستمدان من الاسم العبري (شمعون) الذي يعني «السامع» كان الاسم سمعان يستعمل على نطاق واسع في العصور الوسطى مرة أخرى بعد الإصلاح الديني، ولكنه ليس شائعاً الآن. كان الاسم سمعان، الصيغة الأكثر شهرة في الإنجليزية والمأخوذة من الاسم شمعون، أكثر شهرة في العصور الوسطى. بسبب الشهرة الواسعة للرسول سمعان بطرس في تلك الفترة. وبعد الإصلاح وبسبب تأكيد الرومانية الكاثوليكية على الاسم بطرس كأول بابا، بطل استعمال الاسم سمعان، ولكنه عاد بالتدريج.

بطرس

عندما أحضر أندراوس أخاه إلى يسوع، حيَّاه يسوع تحية غريبة «أنت سمعان بن يونا، أنت تدعى صفا الذي تفسيره صخرة (بطرس)» لدينا هنا ثلاثة أسماء:

- سمعان اسم يهودي
- صفا (Kephas) بالآرامية أو السورية

بطرس، وهو اسم يوناني وصفي - وهو الاسم الذي نعرف به الرسول - الرجل الصخرة، ولا يجب أن ننسى أن هذا هو لقبه، أو الاسم المعطى له والممنوح لابن يونا كشخص غير مستقر يبدو أن لا شيء فيه يوحي برسوخ الصخر وثباته. ولكن النعمة الإلهية حولته إلى الرجل الصخرة. إن سمعان المولود من الجسد، بين يدي المعلم الذي اختاره والروح القدس الذي جاء ليتحكم فيه، فالاسم المعطى له ما يبرره، قد أصبح بطرس الصخرة - شخصية قوية، وحازمة، ويمكن الاعتماد عليه - حجر اختاره البناء العظيم، ليوضع فوق صخر الدهور ويبني عليه، ومع ذلك فقد كانت به قساوة معينة، لا يسهل تليينها.

إن بطرس، كشخص مولود في عائلة يهودية، كان يذهب كصبي إلى مدرسة المجمع، حيث يتعلم أجزاء من الناموس والأنبياء، وبعد ذلك بمدة طويلة، حين أصبح رسولاً مشهوراً، كان يستطيع أن يقتبس أجزاء من الذاكرة. وفي شبابه ورجولته المبكرة كان بطرس يذهب في أيام السبت إلى المجمع الذي كان قد بناه قائد مئة روماني ثري لليهود في كفرناحوم. وحيث أن بطرس وأندراوس قد انحدرا من عائلة تحترف صيد السمك، فقد كان لهما قارب صيد خاص بهما. وكان هذان الأخوين مع أخين آخرين، يعقوب ويوحنا، ابني زبدي يعملون جميعاً معاً، ويقتسمون السمك الذي يصطادونه فيما بينهم.

وبما أن بطرس كان معتاداً على حياة الحرية التي ينعم بها صياد السمك، فلابد أنه ضحى بالكثير عندما قبل الانضباط والتحكم الضروريين كواحد من تلاميذ المسيح. ويمكن ملاحظة مقدار المتعة والراحة التي تركها خلفه في سؤاله: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟» وبالإضافة إلى ذلك، فمع أن كلا من بطرس ويوحنا قد وصفا بأنهما «عديما العلم وعاميان» إلا أنه كانت لديهما القدرة على إرباك المجمع اليهودي في أورشليم. (أع ٤:١-٢٢). والوصف الذي أطلق عليهما لا يعني أنهما كانا ينتميان إلى الطبقة الدنيا الجاهلة، ولكن بأنهما لم يتلقيا تعليماً مدرسياً أو دينياً خاصاً، إذ كان بطرس يعيش في «جليل الأمم» فقد كان يستطيع أن يتحدث باليونانية كما يتحدث بالآرامية.

عندما ترك بطرس بيته في بيت صيدا، كان يمتلك منزلاً خاصاً به في كفرناحوم، وقد كان المنزل بما فيه من فناء فسيح يمكن أن يستوعب عدداً كبيراً من الناس. وقد كان في ذلك دلالة على وضع بطرس الاجتماعي كصياد سمك ناجح، كان بطرس يعيش هنا مع زوجته وكانت أمها تعيش معهما (مت ٨:١٤، مر ١:٢٨،٣٠). كنا نحب أن نعرف اسم زوجته، وهل أنجبا أطفالاً أم لا. من الواضح أن زوجته كانت تحب عمل الرب، وقد صاحبت بطرس في بعض رحلاته التبشيرية، لأن بولس يصفها هكذا. يقول بروس إنه «كان يبدو أن التلاميذ المتزوجين كالجنود المتزوجين، كانوا يأخذون زوجاتهم معهم أو يتركونهم بالبيت، حسبما تتطلب الظروف أو تسمح به. ونحن نجد أم يعقوب ويوحنا في معية المسيح بعيداً عن موطنهما». ومع أن بطرس هو الرسول الوحيد الذي ذكر بأن له زوجة، إلا أنه من الواضح أنه لم يكن الوحيد بين الرسل الذي كان متزوجاً (١كو ٩:٥).

هناك لمسة إنسانية نجدها في حياة بطرس العائلية

وهي أن حماته قد أخذتها حمي شديدة (لو ٤:‏٣٨) وهذا يثبت كما يقول كيف Cave أنه «لا امتيازات تمنح إعفاءً من النواميس المعتادة للطبيعة البشرية، والمسيح تحت سقف بيت بطرس، لم يحم هذه المرأة من هجمات الحمى. وها قد واتته فرصة متجددة ليمارس قوته الإلهية. فما أن علم بهذا الخبر، حتى جاء إلى سريرها، وانتهر نوبات المرض، وأمر الحمى أن تتركها، ثم أمسكها من يدها ليقيمها، وفي لحظة أعاد إليها الصحة الكاملة، والقدرة على العودة إلى أعمال المنزل، فكل أنواع الشفاء سهلة بالنسبة لكلي القوة».

قبل أن نأتي إلى التغيير الروحي الذي غير بطرس من صياد سمك إلى تابع للمسيح، يلزم أن نقول كلمة أو اثنين عن شخصيته وتكوينه الجسدي. قال أحدهم «إن الطبيعة البشرية متواجدة في بطرس أكثر من أي رسول آخر من رسل ربنا». عندما أصبح الرجال الذين اختارهم يسوع رسلاً، لم يفقدوا أبداً الخصائص المميزة لرجولتهم في روحانية رسوليتهم. وحتى الوحي الذي ارتبط بهم كان مشتركاً في تأثيرات تلك الخصائص المميزة لكل واحد فيهم. في كتاب «أعظم إيمان عرفناه» بقلم فولتون أورسلر Fulton Orsler، وهو كتاب شهير يتعامل مع «قصة الرجال الذين كانوا أول من نشر ديانة يسوع وعن الأوقات الخطيرة التي عاشوا فيها» يقدم المؤلف الموهوب هذه الصورة الحية للرسول الذي نحن الآن بصدده:

«هذا الرجل الطويل القامة الذي ساقته الأقدار للقيام برسالة نبيلة، كان يجوب التلال والوديان في فلسطين في وقت الربيع - كان رجلاً ضخماً له رأس مستدير كالكرة الأرضية ولكن أهم ما فيه كان قلبه المحب الكبير.. هناك تماثيل لبطرس محفوظة حتى هذا اليوم، أقدمها تمثال برونزي من أوائل القرن الثالث للميلاد يظهر بطرس برأس مستدير، وعظام فكين عنيدين، وشعر كثيف مجعد ولحية. وهناك صورتان متأخرتان لبطرس موجودتان في المقابر الرومانية، يظهر فيه الرأس أقرب شبهاً بالرأس في التمثال البرونزي، ونخرج من هاتين الصورتين بإنطباع عن بطرس وهو يخطو عاري القدمين إلى قلوبنا كإنسان بشري ماثل أمام أنظارنا كحقيقة حية، الفكرة الرئيسية أن بطرس كان إنساناً ذا عضلات قوية وكان رجل أفعال لا أقوال.

لحظة اتخاذ القرار

تنبأ رئيس الملائكة جبرائيل عند إعلان ميلاد يوحنا المعمدان، أنه عندما يظهر ويخدم بروح إيليا وقوته، فإنه سوف يرد كثير من بني إسرائيل إلى الرب إلههم (لو ١:‏١٦،‏١٧). كان بطرس بارزاً بين تلاميذ المعمدان غير المباشرين، وقد أصبح مستعداً لخدمة الرب يسوع المسيح من خلال تأثير يوحنا، وكما رأينا من دراستنا عن أندراوس، فإن الأخ الأصغر لبطرس، هو الذي ذهب مع جليليين آخرين إلى نهر الأردن ليسمع يوحنا المعمدان وهو يكرز برسالة التوبة ومجيء المسيح، وعندما ظهر صاح يوحنا «هوذا حمل الله»!

اتبعه أندراوس وشخص آخر باحث عن الحقيقة. كان كل يهودي أصولي مخلص يبحث عن المسيا الآتي، وفرح أندراوس عند اكتشافه للمسيح، وأسرع إلى البيت يحمل إلى بطرس هذا الخبر السار، «وجدنا مسيا الذي تفسير المسيح» ثم نقرأ «فجاء به إلى يسوع»، وحدثت المعجزة.

بمجرد أن نظر يسوع إلى سمعان، علم أن ذلك هو الرجل الذي يستطيع أن يعتمد عليه لبناء كنيسته، التي كان عليه أن يفديها بدمه. وقال لبطرس كما كتب و(ستكوت) في تفسيره للنص اليوناني: «أنت ابن يونا، سوف تدعى من الآن فصاعداً صفا، صخرة أو حجر» (يو ١:‏٣٥-٤٢) كل شيء بدا جديداً بالنسبة لبطرس في ذلك اليوم عندما

اقتاده أخوه إلى يسوع. وكان تقديمه إلى يسوع، ودعوته اللاحقة، وقرار اتباعه، بداية كل شيء طيب وعظيم لذلك الصياد الفظ. ومع أن بطرس لم يكن يدرك ذلك، إلا أنه كان من المقرر أن يحقق التفوق في المهام التي كلفه بها ذلك الشخص الذي رأى فيه إمكانية هائلة.

كان القول الذي حيا به يسوع بطرس إعلاناً ونبوة في وقت واحد «أنت سمعان بن يونا.... أنت تدعى صفا» ألم يكن ذلك دليلاً على علم ربنا بكل شيء؟ هنا نجد بصيرة تنير أعماق طبيعة سمعان بطرس، وحكمة تظهر أن يسوع لا يمكن أن يتوقع من بطرس شيئاً أكثر مما يستطيع أن يعطيه. ولكن نجد أيضاً إيماناً بأنه ما أن يتم اكتمال كل جوانب شخصيته، حتى يصبح إناء للكرامة، وهكذا فإن المحبة هي التي احتملت ضعفات بطرس عندما ظهر متسربلاً بطبيعته الضعيفة، صفحت النعمة عن عثراته، وأصبح رسولاً ليترك انطباعاً بالتكريس الكامل للمسيح إلى الأجيال المتعاقبة التالية. إن الإمكانيات الكامنة تحت السطح في طبيعة بطرس، قد قرأها المسيح ببصيرة نبوية فأنبأ بشخصيته الحقيقية، والاسم الجديد وهو صفا أو بطرس، والذي دعاه به كان «أول وميض للوحي في خدمة المسيح» وكما يعبر عن ذلك دانيل ماكلين بدقة بالغة:

«عندما قدم أندراوس بطرس إلى يسوع» أفسحت الحاسة الإلهية الطريق إلى الفطرة الملهمة، وبرغم الإمكانيات الضعيفة لذلك الصياد الفظ من بيت صيدا فإن الفكر النبوي للمسيح رأى فيه صورة مصغرة للمدافع الألمعي عن الحق في أورشليم، وكان صفا أو بطرس يكمن في إطار شخصية سمعان الحقيقي.

كان أندراوس هو الذي أتى ببطرس إلى يسوع، ولكن يبدو أن الأخوين يفترقان عند هذا الحد. استنفذ أندراوس مقدرته على إفادة الآخرين في مثل هذا العمل الأخوي المتسم بالمحبة، ولكن الآن كان يجب عليه أن يترك النضج الروحي لأخيه الأقوى منه للآخرين وللرب. كان أندراوس قد قدم بطرس إلى الرب، والآن فقد تولى الرب هذه المسئولية، وقرأ مسبقاً ما يمكن أن يصل إليه نمو تلميذه الجديد وماذا سوف يصبح. «أنت تُدعى» على شفتي المسيح، لا يمكن إلا أن تعني «أنت سوف تكون، أنت سوف تصبح»، وكما سنرى، فالمعلم لم ييأس أبداً من تلميذه، ولكنه واصل تعليمه حتى تحققت نبوته عندما صار بطرس الشخصية التي تشبه الصخر التي يصفها لوقا في سفر أعمال الرسل.

نحن لا نعرف كم من الوقت مضى فيما بين أول لقاء بين سمعان ويسوع ودعوته فيما بعد ليكون تلميذاً ورسولاً. يبدو أنه بعد ذلك اللقاء التاريخي المبدئي مع المسيح، فإن كلاً من سمعان وأخيه أندراوس عادا لصيدهما، وأثناء عملهما جاءت الدعوة، وعندما وصلت الدعوة إلى الأذن والقلب، أطاعا، ومنذ تلك الساعة لم يكن هناك رجوع إلى الوراء. ربما لم يكن من السهولة ربح سمعان إلى المسيح ودعوته، فالحجر قاوم الضغوط. يقترح الدكتور إلدريكنج أنه ربما تطلب الأمر دعوتين، ومن المرجح ثلاث دعوات لتحفيز سمعان على اتخاذ القرار باتباع رجل الناصرة.

يخبرنا متى، قبل العظة على الجبل (مت ٤:١٨)، عن دعوة وجهها يسوع إلى التلاميذ الأربعة، بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا، الذين كانوا يصطادون سمكاً.

ويخبرنا لوقا عن دعوة وجهها يسوع لنفس الأربعة عندما كانوا يصلحون شباكهم، وفي تلك المناسبة خاطب يسوع الجماهير من قارب بطرس، وأجرى بعد ذلك معجزة كبرى وفي نهاية القصة يخبرنا البشير أن أربعة تلاميذ «تركوا كل شيء وتبعوه» (لو ٥:١-١١) ونحن لسنا متأكدين إن كان هذان الوضعان يشيران لنفس الحادثة أم

لا. فإذا لم يكن الأمر كذلك، فالأمر تطلب ثلاث دعوات من المسيح لإقناع بطرس بأن يترك مهنته ويتبع المعلم تماماً.

كانت الدعوة الأولى بأن يؤمن، والثانية، كانت دعوة لاتباعه من آن لآخر، أما الدعوة الثالثة فقد كانت دعوة بألا يكون له معلم آخر، وأن يخضع كل شيء ليسوع.

أخيراً، فإن صياد الجليل أصبح صياداً للناس على أوسع نطاق ممكن ووفقاً للإرشاد الإلهي كان يضم جموع الذين خلصوا إلى الكنيسة، فبحياته وعمله، ورسالته مازال بطرس يلقي شبكته في بحر العالم ويأتي بأعداد لا حصر لها من التلاميذ إلى ذاك الذي سعد به كواحد من أوائل الذين اتبعوه.

مع أن بطرس ترك البحر لأجل المخلص، وترك صيد السمك الكثير لأجل خلاص النفوس، إلا أن البحر وأحداثه ظل لمدة طويلة في ذاكرة ذلك الصياد الجليلي ومن المشوق أن نستجمع معاً حكايات البحر من واقع الأحداث التي مرت ببطرس، فعلى سبيل المثال، ليس هناك قصة أكثر تأثيراً في نفس بطرس من تلك القصة التي حدثت عندما كان يسوع يريد أن يعلم الجموع الحاشدة على شاطيء البحر، فدخل سفينة بطرس، كان بطرس مع شركائه طوال الليل، يجدفون القارب ويجذبونه، ويلقون الشباك ولكنهم لم يصطادوا شيئاً وإذ كانوا منهكين من التعب، وربما أعياهم الجوع، كان الرفاق على وشك أن يغسلوا شباكهم ويعودوا إلى بيوتهم لتناول الطعام ويستريحوا.

كانت الشمس تشرق، واتجه يسوع إلى بطرس وطلب منه طلباً يبدو أنه غير معقول «ابعد إلى العمق، وألقوا شباككم للصيد» (لو ٥:٤) أجاب بطرس المسكين والمتعب، بلهجة ساخرة «يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً» كان بطرس ماهراً في مهنته، وكان يعلم أن وقت شروق الشمس على الماء، ليس وقت صيد السمك. فكأن المسيح يطلب منه شيئاً صعب التصديق. وإن اقتراحاً مثل هذا لا يصدر إلا عن شخص غير متمرس على حرفة الصيد. قال بطرس في نفسه لابد أن يسوع لا يعرف شيئاً عن السمك وطباعه مما دعاه أن يطلب مثل هذا الطلب. وإنه إذا أطاعه وأنزل شباكه في ضوء الشمس الساطع، فإنه سوف يصبح أضحوكة في أفواه الذين على الشاطيء.

عندما قال بطرس «ولكن على كلمتك ألقى الشبكة» لم يكن ذلك بلهجة الطاعة المتسمة بالمحبة دون نقاش، ولكن بلهجة التهور الغاضب، كما لو كان يقول: «حسناً، إنه ليس الوقت المناسب للصيد، كما يجب أن تعرف، ولكن إذا كنت تقول إنه كذلك، فها أنا ألقي الشبكة وليكن ما يكون!» مثلت هذه الحادثة منعطفاً هاماً في اختبار بطرس، لأن صيد السمك المعجزي الكثير جعلت صياد السمك يدرك أن الذي أمره بإلقاء شبكته لم يكن إنساناً عادياً، ولكنه سيد البحار، والأرض والسماء. ومنذ تلك اللحظة فصاعداً أصبح يسوع ربه. استيقظ ضميره وأخذ يفحص أعماق نفسه بضوء فاحص، عندما رأى نفسه كإنسان خاطيء يجرؤ على الشك في معرفة وقوة الرب الذي بلا خطية، ولما شعر بالهوان حتى الأعماق والانسحاق تحت وطأة الإحساس بالذنب صاح قائلاً: «اخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطيء»! ولكن يسوع لم يترك الخاطيء، بل مكث معه حتى النهاية، أصبح بطرس مدركاً لحضور قوة تفوق معرفته.

هناك قصة أخرى متعلقة بالأمور المالية ذات العلاقة بالعمل الرسولي. كانت الخزانة فارغة ولم يكن هناك نقود لدفع ضريبة الهيكل، ولكن المعلم الذي لا يعسر عليه شيء أمر بطرس بأن يذهب إلى البحر ويلقي صنارة حيث يصطاد سمكة يكون في فمها نفس المبلغ المطلوب. وهنا تعلم بطرس مرة أخرى أن معلمه هو رب الطبيعة. تلقى هذه المعجزة - بشكل عرضي - الضوء على الفقر الذي

تعرض له ربنا وتلاميذه. ونحن نأخذ كلمات ربنا بمعناها الحرفي، ونؤمن أنها تحققت حرفياً. كيف تصادف أن كانت السمكة في نفس المكان الذي ألقى فيه بطرس الصنارة مع نفس القيمة المالية للضريبة المطلوبة بالضبط في فمها؟ إن هذا سر لا يعلمه إلا الرب (مت ١٧:٢٤-٢٧). هناك شبيه لهذه المعجزة نجدها في القصة الشهيرة لخاتم بوليكرنيس، طاغية ساموس.

وهناك أيضاً حادثة العاصفة في البحر والتي لابد أنها ذكرت بطرس بالأيام القديمة، عندما اختبر كصياد سمك كثيراً من العواصف الخطيرة (مت ٨:٢٣-٢٧). أنت تعرف تلك القصة المثيرة، كان بطرس هو ربان ذلك القارب على بحر الجليل والذي كان يحمل سيد هذا العالم نائماً في مؤخرة القارب، تثور عاصفة هوجاء متحدية مهارة الرجل المسك بالدفة. نظر بطرس إلى المعلم المستغرق في النوم وهو يتساءل كيف استطاع أن ينام في مثل هذه العاصفة. في يأس أيقظ النائم بكلمة عتاب «أما يهمك أننا نهلك». قام يسوع وانتهر الرياح والبحر بالجلال الهادىء لسلطانه. فانحنى بطرس مع بقية التلاميذ في خضوع وعبادة عند قدمي ربهم الملكي. تبرز عبارتان في حادثة البحر هذه «اضطراب عظيم قد حدث في البحر» «ثم قام». إن هبوب العاصفة يستلزم دائماً قيام المعلم الذي يستطيع وحده أن يسكنها.

هناك اختبار آخر اجتاز فيه بطرس في البحر عندما أخبر يسوع تلاميذه بأن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى البر، وأنه سوف يلتقي بهم هناك بعد فترة من الصلاة في الجبل. وبينما كان يتحدث مع أبيه، أصبحت سفينة التلاميذ في وسط البحر مضطربة من الأمواج لأن الريح كانت مضادة. ولكن يسوع رأى حيرتهم ونزل من الجبل، ومشى على البحر، ولما رآه التلاميذ ظنوا أنه خيال، ثم سمعوا الصوت المشجع لذلك الشخص الذي كانوا يعرفونه جيداً. أبرز الخوف الثقة الجسورة لبطرس. ولذا فقد طلب شيئاً من الحرية ليلتقي بالمسيح فوق مياه البحر الهائجة كنوع من التظاهر بالشجاعة. «فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع» (مت ١٤:٢٢-٣٣). حين كان بطرس مثبتاً عينه على يسوع، استطاع أن يمشي، ولكن عندما نظر إلى أسفل إلى الأمواج الصاخبة، بدأ يغرق. كشفت تجربة بطرس عن روحه التي ارتأت فوق ما ينبغي، وكان غرقه في الماء درساً مفيداً في طبيعة الإيمان. ولتذكيره بسلطان ربه على الطبيعة. امتدت يد المعلم لإنقاذ بطرس عندما صاح: «يارب نجني». أدى هذا الاستعراض للقوة الإلهية لشهادة ممتازة - عقيدة مكتملة تقريباً - «بالحقيقة أنت ابن الله».

حدثت آخر قصص البحر المتعلقة ببطرس، الذي كان ابن البحر ذات مرة، بعد قيامة المسيح. من الواضح أن الرسل كانوا ينتظرون قدوم المعلم ولكنه لم يظهر، فقال بطرس متهوراً كالعادة: «أنا أذهب لأتصيد». قال الباقون «نذهب نحن أيضاً معك»، (يو ٢١:١-١٤). ثم جاءت ليلة عقيمة أخرى، ثم ظهور يسوع المفاجيء على الشاطيء وسؤاله عما إذا كان لديهم طعام أم لا، ومعجزة صيد السمك الوفير، ثم الطعام الذي كان يسوع قد أعده لهم عندما عادوا ورؤية الرسل لقدرة ربهم المقام على كل شيء. بعد تناول الطعام، الذي قدمته اليدان المثقوبتان، أمر بطرس بالقيام بالمهمة العظيمة لإنقاذ النفوس.

٢- رسول شكّله المعلم

عندما تلقى بطرس وأخوه أندراوس الدعوة لترك شباكهما واتباع يسوع، سمعاه يقول: «هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس» (مت ٤:١٨-٢٠) وكالفخاري الإلهي، فقد أخذ على عاتقه مهمة تشكيل هذين التابعين

لمهمة الكرازة السامية. لم يكن أندراوس بارزاً في هذا المجال، حسبما يظهر السجل المقدس. ولكن بطرس أصبح أعظم رابح للنفوس في الكنيسة الأولى، كما سنكتشف حالاً. والتأكيد في الوصية على عبارة «فأجعلكما»، فقد تولى المسيح بنفسه مسئولية تشكيلهما وفقاً لإرادته من خلال عملية الارتقاء بشخصيات الذين اختارهم، وكان يبدو أنه يتعين عليه التعامل مع خامة ضئيلة القيمة، ولكنه نجح في تشكيله على صورته - باستثناء يهوذا الذي كالصلصال الجاف، قاوم إرادة الفخاري فنُبذ.

أما عن بطرس، فقد علم يسوع أنه سوف ينمو في النعمة وفي معرفة الرب نفسه، كما كتب الرسول في الرسالة الثانية له ٢بط ٣:١٨. بدأ الرب يقوم بمهمة تعليمه. ورأى أنه سوف يصبح عاملاً لا حاجة به أن يخجل من شيء ولذا فقد بدأ في تطوير شخصيته. وكتلميذ في المدرسة الإلهية كان يرتكب الأخطاء دائماً وكان على المعلم الإلهي أن يصححها، ويعمل على عدم تكرارها. ولم ينل اليأس من يسوع من تلميذه، ولكنه واصل تعليمه حتى تحققت النبوة في حياة التلميذ بأن أصبحت شخصيته كالصخر.

تحققت توقعات المعلم ببطء، وعرف نقاط القوة والضعف في كيان بطرس ولكن حب معلمه لم يجعله مطلق السراح. وعاد بطرس ليكافيء سيده عن كل ما أظهره يسوع له في تنميته الروحية من رعاية ودودة وفهم وصبر.

ليست هناك شخصية كتابية أخرى تقدم لنا نفس الدليل على المهارة التعليمية لربنا في تعامله مع شخص كان يرغب في رفعه إلى السلك القيادي في خدمته، كبطرس. اليهودي الطيب القلب والمندفع والمحبوب الذي اختاره يسوع لقيادة جماعة الرسل. وكما يعبر عن ذلك ج. أوزوالد ساندر في كتابه «رجال من مدرسة الله» فيقول :

«إن شخصية بطرس الفذة، وأقواله الصريحة وتكريسه العميق بالإضافة إلى عظمة قوته وجسامة أخطائه تتحد معاً لتجعل منه بوتقة اختبار مثالية لطرق المعلم التربوية».

إن بطرس في وقت دعوته، جنباً إلى جنب مع بقية صيادي السمك المتواضعين من الجليل، كان عليه أن يتعلم الكثير ويتخلى عن الكثير أيضاً مما كان قد تعلمه حتى يحقق المطالب السامية للمسيح. فأغلبيتهم لم يكونوا متعلمين، وكانوا يؤمنون بالخرافات، وكانوا مملوئين بالآراء اليهودية المتحيزة، والمفاهيم الخاطئة والأحقاد، ولكن فوق الكل كانوا في خدمة بطرس الديناميكية بعد قيامة المسيح. فبعد أن تركوا كل شيء لأجل صحبة المسيح وخدمته، فإن رجال الجليل أظهروا بمثل هذا التسليم، قدرة غير محدودة على النمو الروحي والفكري.

إن تنوع الشخصيات التي تعين على يسوع أن يجعلها تتناغم مع فكره وإرادته تمثل جانباً آخر من تعليمه للاثنى عشر كما يجب أن نلاحظ. فقد كان واضحاً أنهم لم يكونوا جميعاً قد تشكلوا في قالب واحد. ولكن الفخاري عرف كيف يتعامل مع كل كتلة من الصلصال البشري، كانت طرقه مع بطرس تختلف عن تلك التي استخدمها ليحول دون قيام يهوذا بفعلته الشنعاء. في معرض صور الرسل إذن «تكشف أفكار قلوب كثيرين» وقد استفاد الرب من الاختلافات التي أعطت لكل منهم فرديته وتميزه عن الآخرين. إن النسخ المتطابقة لا قيمة لها، سوى في تضخم الأرقام الاحصائية، وليس لها وجود في قصة الإنجيل ممن هم حول يسوع. فمن تشكلوا على يدي المسيح، عن طريق مختلف الأنماط يشكلون شخصيات يختلف كل منها عن الأخرى اختلافات لا حصر لها، مما يضيف الوحدة إلى التنوع.

إن التناقضات العنيفة والصارخة في طبيعة بطرس

واضحة كل الوضوح. فعلى الرغم أنه اختبر لحظات الابتهاج والرؤى السامية، إلا أنه كان مدركاً لأبعاد الخطية في كيانه، كان يستطيع أن ينطق بأقوال رفيعة المستوى ومع ذلك فقد كانت له شفتا ناكر ومجدف. كان يستطيع أن يحلق إلى ارتفاعات شاهقة ومع ذلك كان يغوص إلى أعماق الندم. في يوم ما نطق بطرس بالمديح الرائع للمسيح، وفي اليوم التالي حاول أن يعنفه. في إحدى المرات نجده رفيقاً للمعلم على الجبل المقدس، ولكن في وقت لاحق نراه يحلف أنه لا يعرفه. يترك بطرس كل شيء ليتبع المسيح، ولكنه في النهاية يتركه في البستان. أليست هذه صورة من واقع الحياة؟ أليست نفس هذه التناقضات التي لا تكاد تصدق تعد وصفاً لقديسين كثيرين اليوم؟

وعندما نحاول فهم بعض الدروس الضرورية التي كان على بطرس أن يتعلمها نسلم بأن تعقيد طبيعته يرجع إلى المبالغة أو النظر إليها بنظرة متحيزة، وأن حياته الغريبة الأطوار تجعل من الصعوبة بمكان الحصول على وجهة نظر شاملة ومنصفة.

إن له فضائل ورذائل العقول المبدعة، وأضواء وظلال الأمزجة الدموية، وتقلبات العبقرية. وليس من السهل أن نفهم المبدأ الثابت وراء كل أمزجته المتنوعة ونستعرض في بيان موجز واضح العناصر المختلفة لشخصيته المليئة بالتناقضات الصارخة.

ودعنا نتفرغ إذن، لاستعراض الأحداث البارزة في حياة ذلك الصياد الكبير، ونستشف التوضيح التدريجي لشخصية حباها الله بالكثير من المواهب خضعت لتأثير الدروس التعليمية للنعمة الإلهية. اقترح بعضهم أن تاريخه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يمكن أن يندرج تحت أسمائه الثلاثة الشهيرة:

سمعان

سمعان بطرس

بطرس

درس كبح جماح النفس

بما أن بطرس كان بالطبيعة متهوراً ومندفعاً. فربما كان أقسى درس تعلمه تحت إرشاد يسوع هو درس كبح جماح النفس. وكما نعلم فإن يسوع قد نجح في تذليل شلالات نياجرا بداخل الطبيعة الهادرة لذلك الصياد وحولها إلى خدمة ديناميكية بين خراف بيت إسرائيل الضالة. إن المخاطر التي تعرض لها بطرس في البحر سببت اندفاعه الحاد وجعلته صريحاً وواضحاً. من بين أبرز خصاله سرعة البديهة التي تمكنه من النفاذ فوراً إلى لب المشكلة، ثم التصرف بحسم، وفوراً بلا تردد. يقول الكسندر: «دايت لبيان بعض البصمات الواضحة لبطرس أنه كان متسرعاً ومندفعاً، يتكلم بلا تردد أو حكمة، وعلى استعداد للتوبة، ويخوض دائماً في مياه عميقة بالنسبة له، ثم يعود دائماً إلى معلمه مرة أخرى كطفل صغير».

ربما تكون طبيعته المندفعة موروثة من أبيه يونا، وعندما أصبح بطرس رجلاً فإن قلبه الجامح أصبح أصعب من أن تتم السيطرة عليه، ولكن كما يمضي الكسندر وايت إلى القول إنه «بالتدريج وتحت تدريب ومثال وتعليم معلمه، فإن قلب بطرس الحار أكثر مما ينبغي أصبح بالتدريج تحت السيطرة حتى صار مستقراً لمحبة عميقة وطاهرة ودائمة في حضن بطرس وارتبطت تلك المحبة بعبادة ليسوع المسيح». بغض النظر عن النتائج، كان بطرس صريحاً مخلصاً في دوافعه حتى عندما كان يخطيء. وفي بعض الأحيان، كان ينقصه التحفظ الشخصي. وكان يقوده نفاذ صبره وعناده إلى الوقوع في مشكلات وأزمات. وإذ كان لا يهتم كثيراً بالمواقف الاجتماعية التقليدية ولا بالعقبات التي تقف في طريقه، فإن بطرس كان يتصرف

بناء على القاعدة التي تقول «عندما تكون في شك تكلم» ومع ذلك فبالرغم من لسانه المنفلت وعدم اهتمامه بالأضرار التي يمكن أن يسببها، وعدم حرصه، فقد اختاره يسوع ليكون رسولاً.

كان توبيخ ربنا لبطرس على انفلاته وعدم التحكم في انفعالاته دائماً بلا مرارة، وعادلاً وفي حينه (مت ٢٣،٢٢:١٦) لقد وبخ بطرس على عدم فهمه لخطته بحزم ولكن برقة. وفي الحقيقة، نال بطرس أقسى توبيخ أكثر من تابعي المسيح الباقيين، ومع ذلك نال أيضاً أعظم المديح. وعندما أنكر الرب، سقط بطرس فريسة لتهوره الشخصي، وجاء ارتداد سيفه إلى الوراء ليجرح نفسه، وارتدت عادة الحلف لقَسمَ على الصياد القديم لتؤكد له خزيه التام.

عندما قبض على يسوع من قبل فريق من الرجال قادهم يهوذا إلى جثسيماني، استل بطرس سيفه وقفز بتهور أمام معلمه، على استعداد ليضرب أول عدو يجرؤ على أن يلحق سيده بأذى. ومع أن ذلك كان عملاً شهماً، واستعراضاً للالتزام البشري المخلص المستعد لتحمل المخاطر، اضطر يسوع أن يوبخ بحب هذا العمل الطائش من قبل تلميذه، ويأمره بأن يضع سيفه في غمده. كان على بطرس أن يتعلم أن رسالة المسيح لا يمكن أن تنتشر بأسلحة الحروب الدنيوية وأن الغيرة الجسدية تعوق مثل هذه الدعوى (يو ١٨:٣٦).

«إن الطبيعة البركانية المتفجرة والمندفعة لبطرس، والذي كانت عواطفه الجياشة تتحكم في تفكيره، والذي لم يكن يرضي بأنصاف الحلول، لم تكن من ذلك النوع من الزهور التي تحمَّر دون أن يراها أحد»، هكذا يقول الدكتور ج. ستوارت هولدن في دراسته عن بطرس. كان متسرعاً، ومندفعاً، ومتهوراً – رجلاً لابد أن يعبر عن مشاعره، وإذا رأى أي شيء، فلابد أن يتحدث عنه – لابد أن يوائم ما بين أفعاله ومداركه وتصوراته. لم يكن التأجيل من طبعه. كان دائماً يده «على الزناد». يفعل الأشياء أولاً ثم يفكر فيها فيما بعد. أحياناً تسبب له الحزن، فيما بعد. لابد لمثل هذا الشخص أن يرتكب الأخطاء، ولكنه يفعل أشياء أخرى أيضاً. ألم يقل إبراهام لنكولن «من لا يرتكب أي خطأ، فهو لا يفعل أي شيء». وبفضل تعليم المعلم تعلم بطرس كيف يكبح جماح اندفاعاته عن طريق ملكة التمييز، ويضبط أفعاله عن طريق الحساب الحكيم للعواقب. لقد أصبح يتسم بالصبر وضبط النفس. فقد نجح يسوع في التحكم في نفس بطرس، كما يبين تعليم الرسالة الأولى والثانية لبطرس بوضوح. وقد تمت النبوة القائلة «أنت... أنت تدعي...». في البداية، كان بطرس رجلاً يتصف بالاندفاع القوي والعند والتحيز، والذي إن لم يضبط، فإنه يؤدي إلى الدمار. ولكن عندما استمر يعيش تحت سيطرة المسيح فإن الوحش الكامن في بطرس أصبح كالحمل الوديع.

درس التواضع

في الكثير من أقواله، كما في بعض إجاباته على يسوع، كان بطرس يفرط في استخدام الضمير الشخصي. كانت كلمة (أنا) بارزة. إن الثقة المفرطة بالنفس هي في الواقع حاملة سلاح الخطية، الثقة الزائدة بالنفس، المرتبطة بالغرور الذاتي، يمكن أن تعمي المرء عن جهله وعن نقائصه، كان على بطرس المسكين أن يتعلم شعار «لا أنا، بل المسيح» الثقة بنفسه جعلته يندفع إلى مواطن الزلل والخطأ. كان يقدر أهميته أكثر مما ينبغي. وقد جعله ذلك يندفع حين كان يجب عليه أن ينسحب، ويقدم وعوداً رائعة كسرها بخزي فيما بعد. وحين ارتأى فوق ما ينبغي، فإنه حاول باندفاع أن يوبخ معلمه ويحاول تصحيح ما تصوره خطأ، وهو التلميذ الوحيد الذي تجاسر على فعل ذلك – كما لو كان يعرف أكثر من كلي الحكمة.

ولو كان يمتلك قدراً أكبر من التواضع الذي كتب عنه فيما بعد لصمت عندما جُرِّب بأن يتكلم. لقد جُرِّب بطرس، كما نُجرَّب كلنا، أن نتكل على الذات وليس أن نعتمد على الرب تماماً.

ولأنه كان واثقاً في نفسه أكثر مما ينبغي، كان عليه أن يتعلم أن يصلي مع المرنم قائلاً: «أيضاً من المتكبرين أحفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ» (مز ١٩:١٣). إن ثقة بطرس الزائدة في نفسه حولته إلى شخص فخور بذاته وقادته إلى عدم الحرص في الكلام (تث ٢٦:٣٣،٣٤). ولأن بطرس كان قوياً ونشيطاً، وميالاً إلى السيطرة، فقد كانت لديه ثقة كاملة في نفسه. «إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً». ولكن قبل انتهاء تلك الليلة فإن هذا التلميذ المعجب بذاته، والمعتمد على نفسه أنكر ربه ثلاث مرات. إن هذه الثقة كالعصافة الزائدة بالنفس يجب أن تغربل للحصول على القمح في شخصية بطرس، وبالتجارب الأليمة والعثرات المحزنة. تعلم التواضع من خلال الألم.

ومع ذلك فهذه الرذيلة البارزة أصبحت فضيلة ظاهرة، لأن نفس هذه الثقة الزائدة بالنفس والتي كانت السبب في سقوط بطرس وجعلته يتطلع فوق ما ينبغي، كانت العنصر الذي ساعده ليحتل منصباً قيادياً في الكنيسة الأولى عندما تقدس. وهذه النزعة نحو السيطرة - السبب المباشر والفوري لبعض أكثر المواقف المخزية في حياة بطرس - زودته بقوة روحية كبرى نراها واضحة في الـ١٢ أصحاحاً الأولى من سفر أعمال الرسل. فبالتوجيه الإلهي تعلم بطرس أن سر القوة المنتصرة في خدمة المسيح هي عدم الاعتداد بالذات. «حينما أنا ضعيف، أنا قوي». فعن طريق كبريائه، ومن خلال الثقة الزائدة بالنفس، سقط بطرس. ولكن هناك عدداً واحداً في رسالته الأولى موجه خصيصاً لأولئك الذين يتكلون على ذواتهم، «اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبلتعه هو». لقد تعلم بطرس من يسوع درس إنكار الذات. فالمعلم مات عن الذات قبل أن يموت لأجل الخطية. «الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً». هذا هو المثال الذي اتبعه بطرس الكثير الاعتداد بذاته (١بط ٢١:٢-٢٤). لقد اختبر بطرس بعد معاناة طويلة أن «الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط ٥:٥).

قرأت عن عائلة عادت إلى البيت لتجد أن المنزل قد سرق. لقد أخذ اللص كل الأشياء الثمينة التي استطاع أن يجدها، ولكن في إحدى الحجرات كان هناك صليب فضي ظل في مكانه ولكن قبل أن يتمكن اللص من أن يلمس أي شيء، كان قد وضع وجه المسيح فوق الصليب نحو الحائط.

لم يستطع أن يسرق مع رؤية عيني المسيح الحزينتين مثبتتين عليه. لقد تم إنقاذ بطرس من الاعتداد بالذات عندما سمح للمسيح بأن ينظر إلى قلبه ويكشف له أن حياة الأنانية والاعتداد بالذات قبيحة ومثيرة للاشمئزاز.

درس النعمة

كان بطرس يوجه أسئلة دائماً. كان هناك السؤال المحدد الذي وجهه إلى يسوع عن موضوع الغفران، ومن المرجح لأنه وجد أنه من الصعوبة أن يغفر لأعدائه كما كان المعلم يأمر تلاميذه أن يفعلوا. ياله من مفهوم جديد عن النعمة الغافرة ليسوع تلقاه بطرس رداً على سؤاله «كم مرة يخطيء إليّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات؟». كم نحن ممتنون لأن أفكار التلاميذ عن الغفران كانت تختلف عن أفكار المعلم عنه! كان على بطرس أن يتعلم أن يغفر كما غفر معلمه. ما هو مقياس الغفران الإلهي؟ إنه يعني أكثر من مجرد التخلص من ضغينة أو حقد، إنه يمثل المصالحة الكاملة «كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا». إن غفران المسيح لنا كلفه كل عار وآلام

الصليب.

لو نظرنا لكلام بطرس عن الرقم من حيث هو رقم لكانت نظرتنا لبطرس نظرة متواضعة جداً. ولو كان يسوع قبل الحد الذي اقترحه بطرس للغفران، لما دخل بطرس إلى شركة ميراث القديسين في النور، كان سمعان الخاطيء بحاجة إلى النعمة التي لا تتوقف أبداً عن الصفح. وسوف تظل إلى الأبد أثراً من آثار محبة المسيح الصابرة والغافرة. ولأن بطرس كان يخطيء ويسقط مراراً وتكراراً فقد كان بحاجة إلى السبعين مرة سبع مرات (مت ١٨: ٢١،٢٢). لقد استطاع يسوع أن يثبت أن:

«قلبه لا يمل من الغفران أبداً

وأنه لا يستطيع إلا أن يحب»

ربما لا يستطيع بطرس أن يفهم أن وصايا الله «واسعة جداً» ولذا فقد أحس أنه يجب أن يكون هناك حد لطريقة التعامل مع الأخ الذي يخطيء إليه (مت ١٨: ١٥)، ولذا فقد استخدم الرقم المقدس لاقتراح حد معين. هل كان بطرس يفكر في عبارة النبي القائلة إنه «من أجل ذنوب دمشق الثلاثة والأربعة» لا أرجع عنهم؟ ولكن رد المسيح بالقول «إلى سبعين مرة سبع مرات...» يدل على أنه لا يوجد خط فاصل يتوقف عنده غفراننا، تماماً كما أنه لم يقر أي مقياس رقمي. وكما أنه لا حدود لغفران الله لنا، لا يصح أن يكون هناك حدود لغفراننا للآخرين.

درس التضحية

كان على الاثني عشر عموماً، وبطرس على وجه خاص أن يتعلموا أنه لا يوجد طريق سهل يؤدي إلى السلطان والتاج. أليست هذه الحقيقة متضمنة في توبيخ المسيح للرسول، عندما انتهر المعلم، بطريقته المتهورة والطائشة، لأنه رضى بما اعتبره بطرس مخاطر لا لزوم لها (مت ١٦: ٢٢-٢٣). في لحظة ما كان فوق قمة جبل التجلي لأنه اختير من الله ليكون أول رسول يرى المجد المخفي وراء حجاب بشرية ربه، وفي اللحظة الأخرى يصبح الناطق بلسان الشيطان. كان المسيح قد بدأ يعلن للاثني عشر عن رفض اليهود له وعن آلام الصليب، والانتصار على الموت، والمجد النهائي، ولكن بطرس اعترض مندفعاً على حديثه عن الذبيحة الكاملة بتأكيده «حاشاك يارب، لا يكون لك هذا».

الشيء اللافت للنظر في هذه القصة أن يسوع لم يرد مباشرة على بطرس بل على الشيطان الذي كان يشن عليه هجوماً ضارياً من خلال شخصية بطرس، ففي جهود بطرس لإبعاد يسوع عن الصليب، فإنه قد تحالف دون أن يعلم مع عدو سيده الذي كان يستخدم شفتي بطرس، لذلك لم يتردد يسوع في أن يوجه حديثه إلى الشيطان مباشرة «ابعد عني يا شيطان».

إن يسوع لم يصف بطرس بأنه شيطان، ولكنه وبخ عدوه الأساسي مباشرة بالاسم لاستخدامه لبطرس بتحفيزه لكي يطلب خدمة الآخرين بلا تضحية، وللبحث عن تاج بلا صليب. كان على بطرس أن يتعلم أن الملكوت لا يمكن أن يتقدم بأي وسيلة ممكنة غير الصليب، وأن الخدمة لا تنجح سوى عن طريق التضحية، وأنه لا يمكن أن تكون هناك القيامة ويوم الخمسين بدون الجلجثة. ويمكننا أن نقول إن بطرس قد اختبر في النهاية أن طريق الصليب هو طريق الذهاب إلى بيت الآب، لأنه عُلِّق على صليب في نهاية المطاف.

درس الجماعة الجديدة

لما كان بطرس قد تشرب طموحات وآمال الديانة اليهودية، فإنه كيهودي كان يتطلع لمجيء المسيا ليؤسس ملكوتاً أرضياً. ولكن بنظرة انعزالية ضيقة، فإن هذا الجليلي، الذي اعتقد أن الخلاص من اليهود، كان يتطلع

إلى المسيا «كمجد لشعب إسرائيل» بأكثر مما كان يتطلع إليه «كنور إعلان للأمم» (لو ٢:٣٢). وهذه النظرة الضيقة للخطة الإلهية هي التي صححها الله في الرؤيا التي رآها بطرس حين رأي ملاءة عظيمة نازلة من السماء ومدلاة على الأرض (أع ١٠:١-٢٢). إن كرنيليوس التقي، الضابط المشهور في الجيش الروماني والأممي، كان يرغب في معرفة أعمق بالرب والشركة في الكنيسة. وكمعتنق لليهودية، كان يبحث عن أولئك الذين يستطيعون أن يقتادوه إلى حياة أسمى وقد اقتيد إلى بطرس عن طريق رؤيا.

ولكن كان على بطرس أن يتعلم أنه قد قضى على الفوارق بين اليهودي والأممي في المسيح، وأن كنيسته قد احتضنت كل الذين ولدوا ثانية بالروح القدس. وكان ذلك هو السبب في الرؤيا التي رأها في يافا الخاصة بالملاءة العظيمة المدلاة إلى الأرض والتي تحتوي على كل دواب الأرض. بما في ذلك حتى الخنازير التي كان الأمم يأكلونها. اعترف بطرس باتضاع أنه قد تعلم الدروس الذي علمته إياها الرؤيا، ألا وهو أن الله ليس إلهاً لليهود فقط، بل إلهاً للأمم أيضاً، وأنه على استعداد لقبول كل الناس - حتى أكثر الناس المنبوذين من الأمم. هكذا تكونت الكنيسة التي دعاها المسيح كنيستي. لقد سمع بطرس أولاً عن ذلك من شفتي معلمه استجابة لإعلانه الملهم من السماء وإفصاحه عن لاهوت المسيح ومسيانيته (مت ١٦:١٣-٢٠).

كان الاثنا عشر مع المسيح لأكثر من عام ودرسوا حياته وشعروا بتأثيرها على حياتهم، لقد شهدوا حياته عندما كانت المعجزات تتوالى معجزة في إثر معجزة، واستمعوا إلى أحاديثه التي لا مثيل لها. كان ربنا يعرف حقيقة شعورهم من نحوه، ولكنه سألهم عما يقوله الناس عنه. أخذ بطرس يعقد سلسلة من المقارنات العقلية السريعة، وأخذ يفكر في بعض الأبطال القديسين في الماضي، واستجابة لسؤال المسيح «من يقول الناس إني أنا؟» أجاب بطرس «يوحنا المعمدان» «إيليا» «واحد من الأنبياء». ثم استقرت عينا يسوع على بطرس وسأله: «وأنت من تقول إني أنا؟» أجاب بطرس بسرعة صدى الصوت قائلاً: «أنت المسيح ابن الله الحي» في لمح البصر رأى كيف أن المسيح فاق قديسي كل العصور بمراحل.

مثل هذا الإعلان للمجد المخفي خلف حجاب بشرية المسيح قد تم قوله، لا عن طريق الفطرة ولا كشيء مكتسب، بل عن طريق الروح القدس الذي يعلن دائماً فكر الله للبشر، هذه هي العقيدة المسيحية الأولى، لقد وصل بطرس إلى قمة جبل الإعلان، ونال بركة الشخص الذي أعلن لفكره «طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات». ثم تبع ذلك أول ذكر من ربنا للجماعة الجديدة التي أتي ليؤسسها - الكنيسة - والتي كان بطرس عضواً بارزاً في تأسيسها وامتدادها. وهذا يأتي بنا للتأمل في كلمات ربنا التي أساء البعض فهمها «أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦:١٨). وما قاله ربنا عن بطرس إن له مفاتيح الملكوت قد تعاملنا معه لوحده في سؤالنا التالي. دعنا هنا نحاول أن نفهم معنى الصخرة التي تحدث عنها ربنا.

يعتبر بعض الناس أن كنيسة القديس بطرس في روما مبنية فوق البقعة التي مات فيها بطرس، كما قال يسوع. لذلك ففي كتاب «وحدة الكنيسة» يفسر الأب م.ج ليجوك كلمات ربنا بهذه الطريقة: «عليك - يا بطرس، الذي جعلته صخرة - سوف أبني كنيستي». إن بطرس رأس الكنيسة كان أول من كرز بالإنجيل في روما، مؤسساً عرشه في مدينة روما، ومع ذلك فإن ذلك المؤرخ الروماني الكاثوليكي الأكثر شهرة والجدير بالثقة، الأب دوتشيين في كتابه

«التاريخ المبكر للكنيسة» يرفض إدعاء كنيسته وهذا ما كتبه: «نحن لا نعرف يدي من زرعت النبتة المقدسة في الأرض، أي كنيسة روما. إن التخمينات المبنية على أساس غير آمن حتى أن التاريخ لا يمكن أن يعتبرها قضية مسلم بها، تعتبر أن الرسول بطرس قد جاء إلى روما خلال السنوات الأولى من حكم كلوديوس ٤٢م... في الوقت الذي أطلق فيه سراح القديس بولس، جاء القديس بطرس إلى روما. وربما كان هناك من قبل ذلك، وهذا وارد. ولكن لا يمكن إثبات ذلك، فليس لدينا معلومات من أي مصدر فيما يتعلق بالعمل الرسولي لبطرس في روما».

إن الكنيسة التي دعاها المسيح، كنيستي (كنيسة الله الحي ١تي ٣:١٥) أساسها المسيح وحده. «لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذي وضُع الذي هو يسوع المسيح» (١كو ٣:١١). إن الوعظ الديناميكي لبطرس كان واسطة لتجديد أعداد كبيرة من اليهود والأمم في البداية. وحيث أن أعماله أسست الكنيسة وجعلتها تمتد، يمكن أن نتحدث بهذا المعنى عنه كأساس للكنيسة (أع ٢:٤١و ١٠، ١٥:٧). يشير بولس إلى بطرس كواحد من أعمدة الكنيسة (غل ٢:٩) وأهل بيت الله، على اعتبار أنهم «مبنيون على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢:٢٠، رؤ ٢١:١٤).

فما هو إذن المعنى الحقيقي لما قاله ربنا عن بناء كنيسته على الصخرة؟ الكلمتان اليونانيتان المستخدمتان مقابل «صخرة» مختلفتان في النوع، الكلمة الأولى التي ذكرت عن بطرس هي Petros، أي صخرة بمعنى شظية من حجر قطعت من وجه الصخر، والكلمة الثانية هي Petra بمعنى الصخر كله، كما أوضحنا سابقاً، فالارتباط بيسوع حول سمعان إلى بطرس، وقد تحولت شخصيته إلى ما يشبه الصخر، ولكنه ليس الصخرة التي بنيت عليها كنيسته. كان بطرس يهودياً وإلمامه بالعهد القديم يجعله يعرف أن الصخر في كل الأسفار العبرية لا يمكن أن يرمز لإنسان، بل دائماً يشير إلى الله. «الكلمة العبرية هي Tsur، ونحن نجدها ترد مالايقل عن ٤٠ مرة مجازاً في العهد القديم. وقد استخدمت مرتين عن الآلهة الكاذبة كما في سفر التثنية ٣٢، على اعتبار مقارنتها بصخر إسرائيل، الذي هو الإله الحي، وفي كل حالة فالاستعمال المجازي للكلمة يشير إلى الله.

وخلاصة الموضوع أن الكنيسة الحقيقية ليست مبنية على بطرس كفرد، بل على ما كان بطرس قد أقر به «أنت المسيح، ابن الله الحي». رأى بطرس ابن الله كالمعد لطريق الله، وفي علاقة فريدة معه، وقد أشار ربنا لهذه الحقيقة المطلقة عندما قال: على هذه الصخرة - (لاهوتي ومسيانيتي) أبني كنيستي» إنه البنّاء العظيم والحكيم للجماعة المسيحية - الصخرة المبنية عليها (١كو ١٠:٤، ١بط ٢:٤-٦). ويمكن أذن التعبير عن التناقض المتضمن في هذا الحديث هكذا «أنت الرسول الصخرة، ومع ذلك فأنت لست الصخرة التي تبني عليها الكنيسة. يكفيك أنك وجدت الصخرة، وأنك قد بنيت على هذا الأساس الواحد».

وضع أغسطينوس، أسقف هيبو ٢٩٦م. على فم يسوع الصيغة التالية «على هذه الصخرة سوف أبني كنيستي، لا على بطرس الذي هو أنت، بل على الصخرة التي اعترفت أنت بها حين قلت، أنت المسيح، ابن الله الحي... سوف أبنيك عليّ وليس أنا الذي أبني عليك».

عبر كريسوستوم، بطريرك القسطنطينية ٣٩٨م عن ذلك في عظة عما جاء في مت ١٦:١٨ فقال: «أقول لك، أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة سوف أبني كنيستي، أي، على الإيمان المعلن في اعترافه. إنه لم يبن كنيسته على الرجل، ولكن على إيمانه». كل من أغسطينوس ومارتن لوثر

اعتقدوا أن الكنيسة قد بُنيت على الإعلان الذي نطق به بطرس عن المسيح والموحي به من السماء (انظر غل ١:١٦، ١يو ٣،٢:٤). وعن هذه الجماعة الجديدة، أعلن يسوع أن «أبواب الجحيم (أو هادس) لن تقوى عليها» الأسلوب المستخدم هنا يتضمن قوة مناضلة لكنيسة في حرب، تهزم الخطية، وتتغلب على الحزن ولذلك تنتصر على الموت. والعالم ككل ينظر إلى الكنيسة التي أسسها المسيح كقوة ضعيفة حقاً، غير قادرة على أن تفعل الشيء الكثير ضد الزحف المتنامي للآثام، والصراع والحروب الدولية والقومية. ومشكلات عصرنا المتزايدة. ليت الله يعيد إحياء كنيسته، حتى تكون مرة أخرى مرهبة كجيش بألوية.

درس المحبة

في إحدى قصائده، يريد شكسبير منا أن نتذكر أن:

للورد أشواك وللينابيع الفضية طين

السحب والكسوف والخسوف تشوه جمال القمر والشمس

والآفات الكريهة تتواجد في أحلى البراعم

وكل البشر يرتكبون الأخطاء

كانت لبطرس أخطاؤه بالتأكيد، وكانت الأشواك بين ورده، ولكن برغم كل ما يشوه حياته، مازلنا نحبه، ولكن طبيعته التي ينقصها الدفء والعاطفة ليست من بين أخطائه، فتحت مظهره الخارجي القاسي يوجد قلب محب. للشيخ المحبوب الكسندر وايت فقرة جديرة بالتكرار في دراسته لشخصية بطرس.

«الق اللوم على بطرس بقدر ما تستطيع، وركز على أخطاء حالته المزاجية، وكل نقائص شخصيته، على قدر ما تحب، أتحداك أن تنكر أنه، على الرغم من ذلك، كان رجلاً جذاباً جداً ومحبوباً.

«إن أسوأ آفات القلب البشري هو البرود». فبالرغم من كل أخطائه، وقد كانت كثيرة، لم يكن القلب البارد واحداً منها، كانت كل أخطاء بطرس حقاً تكمن في التهاب قلبه. كان قلبه الملتهب دائماً في فمه، وكان يعبر عن كل ما فيه عدة مرات، في الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يصمت».

إحساسه بالخطية، ودموعه الحارة على خطيته، تكشف عن رقة بطرس الداخلية، كان الشخص الوحيد دوناً عن كل الرسل الذي جثا عند قدمي يسوع وصرخ قائلاً: «اخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطيء». ياله من إحساس كاسح بالذنب والندم أعلنه بطرس! إن مثل هذا الإحساس الغامر بالخطية، لابد أنه دليل على قلب لمسته يد رقيقة. أليس هذا الإدراك العميق بعدم الجدارة قد أكسبه مكانة في قلوب جميع الذين ليس لديهم أفكار زائفة عن قيمتهم وأهميتهم (لو ٥:٨)؟

كان قلب بطرس دائماً بجانب الصواب، وما كان بحاجة إليه هو المزيد من التحكم، وقد اختبر ذلك شيئاً فشيئاً تحت إرشاد المعلم وتوجيهه وقد ملأه اهتمامه بما سوف يلقاه معلمه من رفض وآلام بالسخط والألم (مت ١٦:٢٢). ثم أن الخطر والإهانات التي تعرض لها يسوع جعلت بطرس ينفجر بغضب لا يمكن السيطرة عليه (يو ١٨:١٠). وكل ذلك قد أظهره كرجل ذي مشاعر فياضة، ولم يكن شفاء حماة بطرس من الحمى مجرد دليل خاص على التميز بالنسبة لبطرس، بل كان دليلاً على أنه تحت مظهره الخشن كان بطرس يمتلك قلباً محباً رقيقاً.

عند بحر الجليل، التقى المسيح المقام بتلاميذه مقدماً لهم دعوة جديدة أشمل للخدمة وفي هذا اللقاء الخاص الذي عقد بحكمة في صمت تعرض بطرس لمزيد من عملية الغربلة. كان يسوع أميناً ورقيقاً في استجوابه لبطرس، ثم دوي هناك اعترافه القلبي «أنت تعلم أني أحبك» في القصة المؤثرة عن هذا الحوار الذي جرى بين يسوع وتلميذه

المخطيء سأل يسوع هذا السؤال «لا مرة واحدة، بل ثلاث مرات: أتحبني؟» استخدم يسوع اسم بطرس القديم، سمعان، واعتراف بطرس المثلث أعقب إنكاره المثلث، «أنكره ثلاث مرات.

وعندما اكتفى يسوع بإعلان تلميذه المفاجيء بالحب القوي الملتهب، أمره من جديد بالقيام بالخدمة المستقبلية. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، علم ماهية العمل الذي سيقوم به وكيف سيموت (يو ٢١:١٥-١٩) فلا عجب أنه فيما بعد، عندما بدأ بطرس يكتب رسالتيه، أعلن أن «المحبة تستر كثرة من الخطايا» وهي مازالت تفعل ذلك. يذكرنا دانيل ماكلين بما يأتي:

«إن شمس بطرس قد كسفت، ولكنها لم تنطفي أبداً، فقد ظلت تسطع وهي تشيع الدفء بمجرد انهزام الظلال. ولذلك فنحن نقبل رأي كريسوستوم: «أحب المسيح يوحنا حباً جماً، ولكن بطرس أحب المسيح حباً لا مزيد عليه».

لقد أصبح سمعان، تلميذ الوعد، عن طريق هذا الاعتراف، بطرس البطل، ومنذ تلك اللحظة بدأ حياة لامعة لفائدة الآخرين وقد كرس ثراء عبقريته المقدسة لخدمة الإيمان.

«أتحبني أكثر من هؤلاء؟» نحن لا نفهم من كلمة (هؤلاء) السمك والقوارب والشباك فقط - حرفته القديمة - بل التلاميذ الآخرين الذين كانوا حاضرين أيضاً. إن الاشارة الواضحة هنا هي مقارنة بطرس لنفسه بالآخرين في الثقة بالمحبة التي اعتقد أنها لن تسقط (مت ٢٦:٣٣، مر ١٤:٢٩). هل وصل نفس هذا السؤال الفاحص إلى قلوبنا «أتحبني أكثر من هؤلاء؟» - وهل الإجابة هي نفس إجابة بطرس: «أنت تعلم أني أحبك؟» أفضل من الثروة وأفضل من الصحة، وأفضل من الشهرة، وأفضل من أقرب المقربين؟ لقد أحب بطرس كثيراً لأنه، كالمرأة التي غسلت رجلي المسيح. قد غفر لها كثيراً، هل هذا هو اختبارنا الشخصي؟

درس الشجاعة المنضبطة

كان بطرس بالطبيعة والتكوين ذا مزاج حماسي ودموي. ولكن ما هو تعريف الحماس؟ «ما هو سوى أن القلب، والخيال، والإنسان كله، جسداً ونفساً، في حالة ملتهبة» إنه الصفة التي ساعدت بطرس ليظهر شجاعة لا سبيل لإنكارها، ولأن أشجع الرجال عرضة للاجتياز المؤقت في الخوف والجبن، فلا يصح أن نوبخ بطرس لاستسلامه لمثل هذه الحالة. فمن الأشياء المحزنة أن فرويد ديك الكبير هرب من أول معركة دخلها. وكان كل من إيليا ويوحنا المعمدان بطلين يشار إليهما بالبنان، ولكن، كما نعرف، فإن شجاعة أحدهما قد خذلته في الصحراء، وأطاح السجن بشجاعة الآخر.

كان بطرس شجاعاً حقاً وبينت ذلك محاولته السير على البحر. لم يكن هذا عملاً طائشاً: مجرد رجل شجاع حاول القيام بهذا العمل. ومجرد رجل لا يهاب أحد وقف ضد فرقة الجنود الذين جاءوا للقبض على يسوع. وعندما قال ليسوع: «إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت» كان يعني ما يقول، ولو كانت المحاكمة قد حدثت في تلك اللحظة، لكان ذهب مع يسوع. ولكن هذه الشجاعة الطبيعية كانت ممتزجة بمادة رخوة. وكانت في حاجة للانضباط، والتنقية بالنار، والتحلي بروح اسمى تتسم بالثقة والتكريس لتصبح مثل الصخر. لقد أتى يوم الخمسين بمثل هذا التكريس للشجاعة، جاعلاً إياها «نابعة من الأعماق. هادرة بقوة، مطهرة بلمسة إلهية، وموجهة بتوجيه إلهي». هكذا كان الحال، حتى أنه عندما وقف بطرس وأدان الحكام والشيوخ والكتبة بالجريمة التاريخية التي ارتكبوها، تعجبوا من جسارته (أع ٤:٥-١٣).

٣- الرسول الذي حصل على المفاتيح

بعد إعلانه العظيم، والذي استحق بركة يسوع، أعطى لبطرس تكليفاً خطيراً والذي بسبب سوء تفسيره من قبل البعض، فإنه يستحق اهتمامنا به والتأمل فيه، إنه يقول «أعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات» (مت ١٦:١٩). تصور الأسطورة بطرس على باب السماء ممسكاً بمفاتيحها ليسمح بالاستمتاع بالفرح الأبدي لكل من يعتبرهم أهلاً لذلك. فالذين ينادون بأن بطرس هو أساس عقيدتهم، يفسرون هذه المفاتيح بأنها رمز للسلطة الفريدة الممنوحة لبطرس. ولكن كما يعبر الدكتور ج.د. جونز عن ذلك بالقول: «لم يمنح المسيح لبطرس أي رئاسة أو سلطان على إخوته. أما النظرية القائلة بأن له الأولوية الرسمية على باقي الرسل فليس لها أدنى سند كتابي. ولكن حقيقة أن بطرس مارس الرئاسة على الاثنى عشر بناءً على طبيعته الجسورة المستبدة والمندفعة. وهذا واضح في كل صفحات العهد الجديد» مالا يجب أن ننساه حقيقة أن نفس كلمات السلطان كالتي تحدث بها ربنا إلى بطرس، عن الحل والربط، قد تحدث بها إلى المؤمنين كأفراد. كان بطرس أول من استخدم المفاتيح، ولكنه ليس الشخص الوحيد الذي فعل ذلك (مت ١٨:١٨). الاشارة الأخيرة إلى بطرس في سفر أعمال الرسل هي الإشارة إلى استعماله للمفاتيح، في دفاعه عن الحرية المسيحية، أمام مجمع أورشليم (أع ١٥:٧-٩).

مهمة المفتاح هي أن يدور في القفل ويفتح الباب. وما أن يفتح الباب، لا يصبح للمفتاح أي قيمة ما لم يغلق الباب مرة أخرى، وحمل بطرس للمفاتيح يعني ببساطة أن له امتياز فتح الباب، أو أن يعلن أن المسيح هو الباب، ويدعو اليهود والسامريين والأمم للدخول من الباب وأن يخلصوا. وهذا الباب ظل مفتوحاً دائماً وأبداً، وكل من يرغب يمكنه أن يدخل (أع ٢:١٤-٤٠، ٨:١٤، ١٠:٣٤-٤٨). ما أن استخدم بطرس المفاتيح حتى أخلى مكانه من الصورة، وترك الباب مفتوحاً لكل من يرغب في الدخول، ويخبرنا بولس بوضوح أن مهمة بطرس الخاصة كانت تنحصر في أنه رسول الختان إلى اليهود ولكن في بيت كرنيليوس في قيصرية، استخدم بطرس المفتاح الذي أعطاه المسيح له ليفتح باب الإيمان إلى الأمم.

في الأصحاحات الاثنى عشر الأولى من سفر أعمال الرسل، يسيطر بطرس على المشهد عندما يفتتح مؤسسات مسيحية كبرى، فاتحاً الباب للخراف لكي تدخل، ومطعماً الخراف كما أمره المعلم أن يفعل. كان للرسول امتياز فتح بيت الكنوز، ومقدماً الجدد والعتقاء ولكنه بالنسبة لهذه الخدمة لم يكن سوى ممثل لكل المؤمنين الحقيقيين. الذي لكل واحد منهم امتياز وفرح فتح الأبواب للدخول. يقول أوريجانوس، - واحد من آباء الكنيسة الأوائل - بحق إن «من لديه إيمان بطرس هو صخرة الكنيسة، ومن له فضائل بطرس يحتفظ بمفاتيح الملكوت». المفتاح هو علامة على القوة أو السلطة (إش ٢٢:٢٢، رؤ ٣:٧) ومثل هذه القوة السيادية موضوعة تحت تصرف كل ابن مولود ثانية من الله (مت ٢٨:١٨-٢٠).

٤- رسول بارز كمتحدث باسم الاثنى عشر

من المشوق أن تقارن بين ما يقوله يعقوب عن العضو الصغير، اللسان وضرورة التحكم فيه عندما نفكر في اندفاع بطرس في الكلام. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة» (يع ٣:١٠). كان بطرس يبارك ويلعن بلسانه، كان يتحدث باسم أبيه السماوي، ويتحدث للأسف باسم الشيطان (مت ١٦:١٧،٢٣) ولكن يوم الخمسين أحدث في

بطرس تغييراً هائلاً، فهو الذي كان يتحدث فيما بعد كما أعطاه الروح القدس أن يقول.

وما يلفت نظرنا في الأناجيل الطريقة التي تصرف بها بطرس كالمتحدث، بفم الرسل «كما قال كريسوستوم، كان بطرس دائماً صريحاً لا يخفي شيئاً. وكان يقول كل ما في فكره دون اعتبار للعواقب. وفي كل أجزاء قصة الإنجيل يبدو كالمتحدث باسم الرسل، فكان يسأل الأسئلة التي كانت تشغلهم، ولكنهم كانوا مترددين في التعبير عنها، ومقدماً الإجابات والاعترافات التي كانت في أذهانهم، ولكن لم يكن لديهم الشجاعة أو لم يقرروا أن ينطقوا بها. كان يسأل أسئلة نيابة عن الاثنى عشر، ويقدم اقتراحات باسمهم، وكان يعبر عن الآراء باسم الاثنى عشر. تأمل بطرس وهو يسأل يسوع بجسارة أسئلة عن:

الجباية أو الجزية (مت ١٧:٢٤).

معنى أمثلته (لو ١٢:٤١).

عدد مرات الصفح عن المسيئين إلينا (مت ١٨:٢١).

المكافأة المقدمة لأولئك الذين يتبعون يسوع (مت ١٩:٢٧).

وكان بطرس أيضاً المتحمس كثير الكلام هو الذي أدلى بـ: أول اعتراف لمسيانية المسيح ولاهوته (مت ١٦:١٦).

والإجابة بالإنابة عن بقية الرسل عندما سأل يسوع «ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟» (يو ٦:٦٧،٦٨).

والعبارة عن غسيل الأرجل والتي يعبر فيها بطرس عما يجول بخاطر بقية التلاميذ (يو ١٣:٦).

وعندما نأتي إلى سفر أعمال الرسل، كم يبرز بطرس كالواعظ الجريء الذي لا يخشى شيئاً! ياله من لسان من نار أعطاه الروح للرسول! وأخيراً. فقد كان «الرجل الكامل» ذا لسان خاضع للتوجيه الإلهي، قادراً أن يلجم كل الجسد، وكينبوع يصنع ماء عذباً لجماهير الخطاة.

٥- الرسول الذي أصبح الأول بين الرسل

إن شخصية بطرس القوية هي التي وضعته في مقدمة الرسل. وضع للويد س. دوجلاس عنواناً لروايته الشاعرية عن شخصية بطرس الأسطورية «الصياد الكبير» وهو عنوان مناسب، لأن ابن يونا كان كبيراً بحق وكان معداً للقيادة. ومن المثير أن نلاحظ أن أقدم قوائم الاثنى عشر الذين اختارهم يسوع تبدأ بالكلمات: «الأول سمعان الذي يقال له بطرس» (مت ١٠:٢) في البداية، نجده بارزاً عن الباقين، ونجده الأول في الترتيب، واسمه يأتي في أول القوائم الأخرى. مهما كان المعنى الذي قصده متى من العبارة السابقة، سواء كان رأيه الخاص، أو الشعور العام لدى الأحد عشر رسولاً الآخرين، أو شعور الكنيسة في الوقت الذي كتب فيه إنجيله، فقد كانت العبارة صحيحة، سمعان بطرس هو «الأول» ومكانه عادة في وسط الصورة الأولى في قوائم الرسل، ثم في مشاعر القديسين في كل عصر.

هناك عبارة في سفر أعمال الرسل توحي بالقيادة التي مارسها الرسول «وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ» (أع ١:١٥). وبغض النظر عن التفوق المطلق لبطرس الذي تدعيه روما له، نحن نعرف أن العهد الجديد يعترف بصدارته أو مكانته الأولى بين الاثنى عشر، في كل عصر تقريباً. هناك دلائل على سيادته، وهي سيادة منحته إياه الطبيعة نفسها. من بين الاثنى عشر الذين علمهم يسوع، كان بطرس أكثر الشخصيات تأثيراً وفاعلية، وقد احتفظ بموقعه المتقدم إلى النهاية. كان بطرس «الرئيس والقائد الطبيعي لجماعة الرسل»، وكان لديه اللقب الذي لم ينازعه عليه أحد الذي يخول له المكانة الأولى، مع أنه لم يكن يمتلك أي تفوق روحي أو امتياز لم يحصل عليه زملاؤه من الرسل. يدعي بعض الناس زوراً أن قوى فريدة قد

منحت لبطرس من قبل المسيح بعد اعترافه العظيم. ولكن السيادة الرسمية، والسلطة التي يضعها بعض الناس على بطرس لا سند لها من الكتاب المقدس.

ليس لدينا عن بعض الرسل الآخرين شيء سوى أسمائهم، ولكن سجل بطرس مفصل، ونابض بالحياة، وبارز. كتب الدكتور وليم كيف، في كتابه عن «الرسل» ما يأتي عن بطرس:

«إن عمره وجاذبية شخصه، تؤهله للمكانة الأولى بين بقية الرسل، وهي رئاسة لا يمكن لأي جماعة بشرية أن تستغنى عنها حتى تحسن إدارتها وتحتفظ بكيانها ولا يمكن لأحد أن يضعه في مكانة أقل من ذلك. كما أنه لا الكتاب المقدس ولا الكتابات القديمة تسمح له بمكانة أرفع من ذلك».

وكالأول بين أنداد كان بطرس أول من يعلن إيمانه بإرسالية المسيح الخارقة للعادة وأول من يرى المسيح المقام في الأحد الأول للقيامة، وتفوق بطرس يمكن أن تبرزه العبارات التالية: «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس» (مر ١٦:٧). «الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان» (لو ٢٤:٣٤). ثم يسجل بولس الظهورات المختلفة الأولى للرب المقام ويقول: «وإنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر» (١كو ١٥:٥). وبعد صعود المسيح، يتصدر بطرس المشهد كالرسول المخصص لليهود، وكأول من نظر مجد الرب، فقد حظى بشرف كونه أول بشير بنعمة ربه. وبالقبض على بطرس في أثناء حكم هيرودس، يبدو أن قصته تأتي إلى نهايتها (أع١٢). ويبدأ بولس يتصدر المشهد كشخصية أكثر بروزاً في تاريخ المسيحية الأولى، ظل بطرس محتفظاً بالمكانة الأولى في الكنيسة الرسولية حتى ظهر بولس. وكما يؤكد الكسندر وايت:

«على الرغم أن بطرس كان شخصاً لافتاً للنظر وبارزاً. إلا أنه لم يكن يمتلك المقدرة الطبيعية ولا المزايا التعليمية لشاول الطرسوسي. لم يكن فكره عميقاً أو قوياً أو متعدد الجوانب أو مثمراً كفكر بولس الذي لا يضاهي. وكنتيجة لذلك فإنه لم يستطع أبداً أن يدرك العمل الذي استطاع بولس وحده القيام به. ولكن في نفس الوقت، وحتى ظهر بولس وحجب ضياؤه ضياء كل التلاميذ الذين كانوا في المسيح قبله، كان بطرس على رأس قائمة الرسل، ولذلك فهو يترك بصمة أعمق على كل صفحات الأناجيل الأربعة على أي حال، أكثر من أي واحد من التلاميذ الأحد عشر الآخرين.

٦- الرسول الذي أنكر سيده

الشيء المحزن في حياة بطرس حدث عندما خان ربه في ساعة شدته. وهو شيء ينبغي أن يخجل كل واحد منا أمام الله، لأنه يكشف نقص أقوى الرجال عندما يتكلون على قوتهم الشخصية، لم يكن عدم الإخلاص واحداً من أخطاء بطرس وعندما قال إنه على استعداد لأن يضع حياته لأجل سيده فقد كان يعني ما يقول. لا يمكن لأحد أن يتهم بطرس بالرياء إذ كان يعني ما يقول، وقال ما كان يعنيه. ولكن يا للحسرة! فلم يكن مدركاً لضعفه الشخصي. نحن أمام رجل، استل سيفه منذ ساعات قليلة دفاعاً عن معلمه، ولكن شفتيه تدنست بالحلف الكاذب والأكاذيب لمجرد اتهام صادر كزلة لسان من فم جارية. يا له من إظهار للمتناقضات في إنسان يرتفع إلى عنان السماء مع الملائكة تارة ثم ينخفض إلى أعماق الجحيم مع الشياطين مع أنه الأفضل بين رجال هم أفضل الرجال! إن مستنقعات الشر المنخفضة دائماً ملاصقة لساحات أقدس الناس. فأنبل وأطهر الرجال يجربون في معظم الأحيان بالأفكار الشريرة والشكوك المحيرة.

بداخلنا جميعاً إمكانيات لعمل الفضيلة وإمكانيات

مماثلة لعمل الرذيلة. وعندما نفعل الخير، يكون الشر حاضراً معنا، وكلما كانت الطبيعة سخية في هباتها، أصبحت خطاياها أكثر مدعاة للوم. «إن فساد أفضل الناس لهو أسوأ أنواع الفساد» وهكذا حدث أن بطرس، الذي نبجله كالذي باركه المعلم، يذهب إلى حد إنكار أنه قد عرفه على الرغم أنه رسول. فقد انتقل من البركة إلى اللعنة. ولكن وقت الغربلة بالنسبة له قد حان عند فصل التبن عن الحنطة – عند فصل سمعان بن يونا المختال، المعتد بذاته، والعنيد المندفع عن بطرس المكرس، المقدام، البطولي، الشبيه بالصخر (لو ٢٢: ٢١. ٣٢). ففي أثناء الحديث الذي دار أثناء العشاء الأخير، حدث أن يسوع التفت إلى بطرس، وقال: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من أجلك كي لا يفنى إيمانك».

ثم جاء التأكيد أنه بعد عملية الغربلة، فأن بطرس سوف يكون مصدر قوة لبقية التلاميذ: «وأنت متى رجعت ثبت إخوتك».

هذا الاكتشاف لضعفه، جعل بطرس قوياً، لقد اختفى هذا الاعتداد بالذات والثقة الزائدة بالنفس، وظهر المزيد من ثمار الاتكال الكامل على الرب. وعندما كتب بطرس رسالتيه، كتب تحذيرات مماثلة للرجال الأقوياء المعتدين بذواتهم. وكلنا نعرف جيداً الاختبار الثلاثي المأساوي الذي اجتاز فيه بطرس، فقد ذهب إلى بيت رئيس الكهنة لينظر النهاية (مت ٢٦: ٥٨). لقد اعتقد بطرس أن القبض على معلمه وموته سوف يكون نهاية لكل الأشياء التي اعتقد أنها تستحق أن يحيا لأجلها.

ونرى فكر الشيطان ودهائه في القضاء على إيمان بطرس حين بدأ عملية الغربلة للرسول، ليس عن طريق تعيير لأحد الجنود، بل بسؤال مرتجل ومسبب للضيق موجه من جارية – سؤال ذو صلة بمكان تواجده الجسدي، وليس بولائه الروحي، ولتفادي هذا السؤال المرتجل، ارتجل بطرس أكذوبة.

يذكرنا ج. اوزرالد ساندرز أن الأخطاء اللفظية لبطرس قد أتاحت ليسوع فرصاً لتعليم تلميذه دروساً عظيمة الفائدة. كان بطرس قد قدم اعترافاً ثلاثياً للاهوت المسيح:

«نحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله» (يو ٦: ٩٦).

«أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت ١٦: ١٦).

«اخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطيء» (لو ٥: ٨).

وقدم بطرس أيضاً افتخاراً ثلاثياً:

«إن شك الجميع فأنا لا أشك» (مر ١٤: ٢٩)

«ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك» (مت ٢٦: ٣٥).

«يارب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت» (لو ٢٢: ٣٣).

كان بطرس يعني كل ما أقر به ولكنه لم يكن مدركاً لضعفه، ولذا فقد أكد المعلم على ثلاثة تحذيرات خطيرة:

«هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣١).

«اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس» (متى ١٦: ٢٣).

«قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات» (مت ٢٦: ٣٤).

ولكن حتى هذه الإشارات الحمراء فشلت في منع بطرس من إنكاره الثلاثي، وهي النتيجة الحتمية لافتخاره المبني على الاعتداد بالذات:

«لست أدري ما تقولين» (مت ٢٦: ٧٠).

«فأنكر أيضاً» (مت ٢٦: ٧٢).

«لست أعرف الرجل» (مت ٢٦: ٧٢).

دعنا نسترجع هذا الجبن الذي أظهره بطرس في لحظة الامتحان الحرجة. ياله من خليط غريب من الشجاعة والجبن في آن واحد! فقد اتبع يسوع بشجاعة واتخذ موقفاً معادياً لكل ما يمثله العالم من قيم، ودافع عن ربه بسيف! ومع ذلك فإن سؤالاً وجهته له جارية في فناء دار رئيس الكهنة، قد أصاب وجهه بالشحوب. وجعله يرتعش، ويكذب، لئلا يكتشف أنه تلميذ ليسوع. ولما كانت عينا الجارية الفاحصتان تشع شراراً، فقد آثر بطرس أن يجد ملجأ في الرواق الخارجي. ثم جاء سؤال ثان، وتبعه إنكار ثان من شفتيه الكاذبتين. وعندما تمت مواجهته للمرة الثالثة، نسى تلمذته، وتعهداته، ومعلمه، نسى كل شيء ما عدا الخطر الذي كان قاب قوسين أو أدنى منه.

وكالخنزير، عاد بطرس إلى الحمأة لأنه لم يكذب فقط ولكنه حلف أيضاً ولما كان مازال متأثراً بعادة قديمة، فقد أصبح بطرس الجامح الدنس «ابتدأ حينئذ يلعن ويحلف». من الصعب أن نصدق أن بطرس دعا الله أن يلعنه لو كان تلميذاً، أو كانت له علاقة بالمعلم، لابد أن مثل هذا الإنكار التجديفي قد سبب جرحاً غائراً في قلب المسيح! لاشك أن سمعان بطرس كان في الدرك الأسفل عندما حلف بالعديد من الأقسام، وهو «الأول» بين الرسل، أنه لم يكن يعرف يسوع الناصري الذي كان محبوساً، وكان في تلك اللحظة، أمام رئيس الكهنة. نحن لا نصفح عن بطرس ولا ندينه إزاء كل ما عمله، فنحن نعرف قلوبنا جيداً.

ومع أن بطرس أخطأ بشفتيه، إلا أننا نعتقد أن شفتيه اللتين كذبتا أقل دنساً من شفتي يهوذا الذي قبل الوجه المقدس، لاشك أننا ننعي ضعف الإيمان الذي نتج عنه سقوط بطرس. إن اتباع يسوع من بعيد قد مهد الطريق لانتكاسته، ألم يتعهد أمامه، أنه سوف يتبعه حيثما يمضي؟ (يو ١٣:٣٦-٣٨). «اتبع شخصاً من بعيد ولن تتبعه طويلاً». إن تلمذة الكثيرين في هذه الأيام تماثل هذا النوع المتباعد، وينقصها وهج وقوة الاقتراب من المسيح. شيئان أيقظا بطرس وجعلاه يدرك ذنبه.

أولاً: صياح الديك، الذي كان يسوع قد أنبأ به، العلامة التي أعطاها لبطرس. **ثانياً**: نظرة المسيح، لقد أيقظه الديك، وأذابت النظرة قلب بطرس.

يصف لوقا الرسول فيقول: «فالتفت الرب ونظر إلى بطرس» (٢٢:٦١). ولو كانت للنظرة لغة تتحدث بها فإن نظرة المسيح كانت تقول: «لقد صليت لأجلك حتى لا يفني إيمانك. فالحب، والعطف والصفح في عيني يسوع حرك قلب التلميذ المخطيء وأذابه. عندما خرج يسوع من دار رئيس الكهنة بعد أن أدين ظلماً، التفت والتقت عيناه بعيني بطرس، وتبرز هذه النظرة الفاحصة الصادرة من قلب كسير كحدث من أهم الأحداث في كل قصة بطرس، فقد أيقظت هذه النظرة تأنيب الضمير لدي بطرس وكسرت قلبه وأخذ يذرف الدمع مراراً. خرج بطرس من ساحة المحاكمة ومضى ليبكي بمرارة. وعندما التقت عينا معلمه المتهم بعينيه عند صياح الديك، تذكر بطرس نبوة معلمه عن إنكاره له. كان الندم من نصيبه لأنه سقط في خطية لم يكن يحبها. لقد عانى بطرس من ضعف إيمانه، وليس من زواله تماماً، مبارك القلب الذي تأتي توبته سريعاً وبقوة.

ياله من فارق كبير بين يهوذا وبطرس! كانت توبة يهوذا بلا دموع - فقد كانت حزناً دنيوياً مع تأنيب الضمير الذي أودى به إلى الانتحار. ولكن حزن بطرس كان بحسب مشيئة الله (٢كو ٧:١٠). إن محبته للمسيح جعلته يبكي. كان بطرس ابناً لله حتى النخاع، ولكن يهوذا، كان ابناً للشيطان في الصميم. ولذلك يمكننا القول إن بطرس لم يكن بإمكانه أن يخطيء كما أخطأ يهوذا، وما كان بإمكان يهوذا أن يتوب كما تاب بطرس.

كانت دموع بطرس المريرة بداية لتوبة دائمة، فقد أذابت قلباً كان يمكن أن يقسو. لقد أصبحت تلك الدموع التلسكوب الذي نظر من خلاله ربه بوضوح أكثر.

لابد أن الفكرة المرعبة الخاصة بإنكار المعلم الذي كان يحبه كثيراً ويبجله قد أصابت بطرس بمخاوف عديدة خلال الأيام السوداء بعد الصلب، حتى أنه كان يلوم نفسه كثيراً ويعنفها إزاء ما فعله. ولنا أن نتصور كيف أن صوتاً واحداً كان يرن في أذنيه حتى النهاية، ألا وهو، صوت الديك. وكيف أن منظراً واحداً كان يجثم على ذاكرته، ألا وهو، تلك النظرة المحبة المتسمة بالعتاب من ربه عند مواجهته. ولكن لم ينته كل شيء بالنسبة لبطرس، فمع وصول خبر قيامة الرب، جاءت رسالة خاصة من المعلم لتلميذه التائب «اذهبن وقلن لبطرس».

إن بطرس ترك أكفانه خلفه بعد أن زار القبر الفارغ، تماماً كما تفعل الحشرة حين تترك الشرنقة وتتحول إلى فراشة ذات أجنحة تطير بها. لقد قام ثانية كإنسان جديد بعد أن خرج من قبر قلبه التائب، كصخرة قوية لمعلمه.

كره بطرس جريمة الخيانة لمعلمة وتخلي عن حياته السابقة وسقط في المعركة شهيداً وهو يدافع عن مليكه كنتيجة لصفح المسيح ووصيته له، فقد أعقب الإنكار اعترافاً ثلاثياً بالمحبة، وتلقي بطرس وصية ثلاثية للقيام بخدمة مستقبلية، يخبرنا سفر أعمال الرسل كيف أنه بعد سقوطه المدوي، فإن بطرس أصبح كالرمح المسنون في يد المعلم، لقد أصبح صياد السمك الواعظ الذي وعظ أهم عظة في تاريخ الكنيسة (أع ٢)، وهو الذي أجرى أول معجزة رسولية بعد الصعود (أع ٣:١-٤). لقد استجيبت صلاة المرنم «طريق الكذب أبعد عني» (مز ١١٩:٢٩) بالنسبة لبطرس، وبشفتين ممسوحتين أعلن قوة إنجيل المحبة المضحية والنعمة. وظلت هاتان الشفتان الملتهبتان تقدمان الحمد وتعلنان رسالة الإنجيل حتى أسكتهما الموت.

إن سقوط بطرس يقدم لنا رسالة، فإن أخطأنا، أو سقطنا من علٍ، فلنا رحمة وصفح، إذا تركنا الخطية وطلبنا الغفران الإلهي.

نسقط في الخطية نحن بشر
وأن نظل فيها نصبح شياطين
وأن نحزن على ارتكابها فنحن قديسون
وأن نترك كل خطية فنحن نتبع المسيح.

٧- الرسول الذي صلب

قال بطرس لربه مفتخراً، دون أن يعلم مغزى ما يقوله، إنه على استعداد أن يذهب إلى السجن وأن يموت لأجله. وبمرور الوقت، كان عليه أن يختبر كليهما، لأنه احتمل السجن وهو يحتمل المعاناة لأجل معلمه. وعلى مر سنوات عديدة، كان يعمل، مضحياً بكل نفيس، في خدمة تبشيرية شاملة كان خلالها واسطة لأجل هداية جماهير غفيرة إلى المخلص. وعلى الرغم أننا متأكدون من حقيقة استشهاده إلا أننا غير متأكدين من المكان الذي استشهد فيه. لقد أنبأ ربنا أن بطرس سوف يموت مصلوباً (يو ٢١:١٨) كتب لاكتانتيوس من الآباء الأوائل يقول: «حيث أن نيرون الذي كان من أردأ أنواع الطغاة الملاعين، صمم على القضاء على الكنيسة المقدسة ومحو البر، وأن يصبح مضطهداً لخدام الله، فإنه أصدر أوامره بصلب بطرس وقتل بولس».

وعندما نأتي إلى القسم الخاص بالمعلومات الأسطورية عن خدمة واستشهاد الرسل، نرجو أن نسجل بعض القصص المثيرة المتعلقة ببطرس، وفي نفس الوقت يمكن أن يقال إنه عندما جاء صالبوه لينهوا حياته الحافلة بالكفاح، رجاهم أن يعلقوه منكس الرأس - أي رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى - لأنه حسب نفسه غير مستحق أن يموت في نفس الوضع الذي مات فيه ربه، لابد أن الأبواق قد

صدحت على الجانب الآخر من الأبدية عندما دخل الصياد الشهير وجلس مع الرب الذي أحبه بإخلاص وخدمه بكل تضحية.

ونحن كتابعي المسيح مثله، لا نمل من النظر إلى صورة بطرس لأنه كان يمثلنا تماماً كبشر حيث لم يكن فيه شيء يسمو على الطبيعة البشرية. إنه يذكرنا كثيراً بأخطائنا، ونحن نشعر بالبديهة أن ما عمله المسيح لأجله، يمكن أن يعمله لأجلنا. فإذا كان قد استطاع أن يجعل من هذا الإنسان الفاني المليء بالعيوب إنساناً عظيماً – أن يجعل من هذا الخليط المكون من الحديد والصلصال والنار والماء رسولاً قوياً قادراً لا يهاب شيئاً – فهناك تشجيع ورجاء. فعلى العالم أن ينظر ما يمكن أن يعمله الله في حياة قد سلمت نفسها تماماً لقيادته. سوف يظل بطرس دائماً وأبداً درساً لنا جميعاً لأنه يعطينا الإجابة على الضعف البشري، وكيف أن الضعفاء يمكن أن يصبحوا أقوياء والخائفين يمكن أن يصبحوا جسورين. إن سر التغيير يكمن في روح الله القوي، الذي أصبح لهذا المؤمن في يوم الخمسين مستودعاً لقوة لا ينضب معينها، ومصدراً للشجاعة والحكمة.

٨– الرسول الذي كتب رسالتين

«كما أن حياة وتجارب داود المتنوعة منعكسة في سفر المزامير الذي ألهم بكتابته، هكذا في رسالتي بطرس، يمكننا أن نميز الإشارات لأحداث حياته والمسجلة في الأناجيل وسفر أعمال الرسل، كما نجد دلائل على الدروس التي تعلمها من تجاربه وانتصاراته. ويتضح بكل جلاء أن الرسول في كتاباته لم يحاول أبداً أن يعتذر عن خطية (المعروف جيداً أنه قد ارتكبها)، التي هي إنكار ربه، وتنعكس هذه السقطة على بعض تحذيراته. كما يواصل بطرس في هاتين الرسالتين، استخدام المفاتيح للوصول إلى العديد من كنوز الحقيقة لاستنارة وتهذيب قطيع المسيح. يقول لاندنر Landner «إن رسالتي بطرس مع الحديثين اللذين ألقاهما في سفر أعمال الرسل، والجماهير التي تجددت بسبب هذين الخطابين، كلها دلائل على الوحي الإلهي، وإتمام وعد المسيح لبطرس «هلم ورائي فأجعلك تصير صياد للناس» من أين حصل هذا الصياد الفقير على هذه الحكمة والقوة سوى من الله؟ ليس في مجال دراستنا أن نقدم دراسة مستفيضة ومفصلة عن رسالتي بطرس، ولكن لنذكر ببساطة القليل من الإرشادات للوعاظ والمدرسين لكي يسيروا على منوالها في شرحهم للرسالتين:

الرسالة الأولى

قال أوسترفالد Ostervald عن هذه الرسالة إنها «واحدة من أجمل أسفار العهد الجديد» وحيث أنه من المرجح أنها كتبت لكل من اليهود والأمم المتجددين المشتتين في كل أنحاء آسيا الصغرى، فالرسالة تتسم بنوع خاص بالقوة والمهابة (١١، ٢:٩،١٠) وبما أنها كتبت حوالي ٦٣م فحسناً وصفها لايتون Leighton بالقول: «تمثل الرسالة خلاصة موجزة وواضحة لكل من التعزيات والتعليمات المطلوب لتشجيع وتوجيه المسيحي في رحلته إلى السماء، تجعله يرتفع بأفكاره ورغباته نحو تلك الجعالة العليا، وتحصنه ضد كل المعوقات في الطريق، سواء كانت من نتاج الفساد الداخلي، والتجارب والإغراءات من الخارج، والموضوعات الخاصة بالتعليم والمتضمنة فيها كثيرة، ولكن الموضوعات الرئيسية التي يركز عليها الرسول هي هذه الثلاثة، الإيمان، الطاعة، الصبر: للثبات في الإيمان، والتوجيه في العمل، والتعزية في الآلام، واضعاً نصب أعين الذين كتب لهم مثال الرب يسوع الذي لا يباري، وسمو تعهداتهم باتباعه».

ومن المفيد حقاً أن نقارن بين صورة بطرس في

الأناجيل وأقواله في رسالتيه. إن الفارق في الحالتين مذهل ومجيد. ففي الأناجيل، كان لبطرس امتياز رؤية ربه متجلياً، وفي رسالتيه، نرى بطرس أمامنا متجلياً عن طريق نعمة الله الفريدة وغير المحددة.

في الأناجيل، نرى بطرس مندفعاً مقداماً على استعداد لتلبية المجد الشخصي الزائل، طموحاً لتحقيق السلطة الأرضية، معتداً بذاته وإن كان جباناً بعض الشيء أحياناً.

وفي رسالتيه، نرى بطرس خاضعاً، صبوراً، متحملاً للآلام، متضعاً، محباً، ونرى ابتهاجه وإقدامه القديمين، وقد تطهرا وأصبحا يتسمان بالنبل والسمو. من بين الكلمات التي سلمت بيد سلوانس أحد رفقاء بولس (١٢:٥)، يمكننا أن نذكر ما يأتي:

(ثمين) للعديد من كتّاب الكتاب المقدس تعبيراتهم الخاصة، وبالنسبة لبطرس، فإن اللفظ «ثمين» هو اللفظ الذي استخدمه سبع مرات.

الإيمان الثمين (١بط ٧:١، ٢بط ١:١).

الدم الثمين «الكريم» (١بط ١٩:١).

الحجر الثمين (١بط ٧:٢).

المسيح الثمين (١بط ٧:٢).

الروح الوديع الهاديء (كثير الثمن) (١بط ٤:٣).

المواعيد الثمينة (٢بط ٤:١).

(الرجاء) كان بطرس حاضراً في ذلك اليوم في العلية عندما قال يسوع «أتي أيضاً وآخذكم إليّ» (يو ١:١٤-٣). وبالمثل شهد صعود المسيح وسمع تأكيد السماء لوعد المسيح المقدم من قبل الرجلين من السماء «إن يسوع هذا.. سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع ١٠:١، ١١). كان بطرس يشير مراراً وتكراراً في وعظه بعد يوم الخمسين إلى «الرجاء المبارك» وقد كانت حقيقة المجيء هذه هي سبب ابتهاجه وغبطته، إذا كان بولس يبرز كرسول الإيمان، ويوحنا، كرسول المحبة، فإن بطرس يمكن أن يطلق عليه «رسول الرجاء» الذي آمن أن مجيء المسيح بمثابة نور مشرق في موضع مظلم.

«رجاء حي» (٣:١).

«استعلان يسوع المسيح» (٧:١، ١٣).

«إيمانكم ورجاؤكم» (٢١:١).

«إذ تأتون إليه» (٤:٢).

«سبب الرجاء» (١٥:٣).

«يطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢بط ١٩:١).

الرب يسوع المسيح في رسالة بطرس الأولى

على الرغم أن رسالة بطرس الأولى رسالة عملية، إلا أنها إنجيلية كما لو كانت رسالة تعليمية في الأساس. كم تعد الرسالة غنية في إشاراتها للاهوت المسيح وعمله! إنها تشير إلى المسيح في كل جوانبها:

إلى كفارته التي سبق أن أنبأ بها الأنبياء، وكانت موضوع تأمل وتفكير الملائكة، وإلى قيامته، وصعوده، وهبة روحه، ومثاله كالمخلص المتألم، والأحداث الرهيبة في يوم الدينونة الأخير، والتعاليم العظيمة للإنجيل كالدوافع المحركة نحو القداسة والصبر، وكلمة الله الحية الباقية باعتبارها الوسيلة لنمو المسيحي في القداسة، انظر إلى (٢:١، ١٨، ١٩، ٢١:٢، ٢٤ ,١٨:٣، ١:٤، ٢بط ٨:١، ١٨:٣).

الألــم

حيث إن هذه الكلمة ومرادفاتها ترد ٢١ مرة في هذه الرسالة القصيرة، فهي تؤكد الغرض من كتابة هذه الرسالة، إن آلام المسيح المشار إليها في كل الأصحاحات الخمسة، وتستخدم لتغذية القديسين في وسط الآلام التي يتحتم عليهم تحملها، ويعلمنا جزء كبير من الرسالة أن نتألم بصبر، وبفرح، ولمجد الله، والهدف الرئيسي لبطرس من كتابة الرسالة معبر عنه في ١٢:٥ «كتبت إليكم بكلمات قليلة واعظاً

وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون. ولإثبات أن بطرس لم ينس أبداً الدروس التي تعلمها في مدرسة المسيح، قارن ١٧:١ بما جاء في سفر أعمال الرسل ١٠:١٥، ٣٤، وما جاء في ٢:٤-٨، جاء في مت ٨:١٦، بما جاء في ٢٥:٢، ٢:٤-٨، مت ٨:١٦، ٢٥:٢، يو ١:١٠، ١٩:٤، لو ٤٦:٢٣، ٢:٥، يو ١٥:٢١،١٧، ٥:٥ ، يو ٤:١٣،٥ .

وكإطار عام للرسالة لدينا

مقدمة ١:١ .٢.

١- نصائح عامة على المحبة والقداسة ٣:١-١٠:٢.

٢- نصائح خاصة تحض على القيام بواجبات محددة ١١:٢-١٢:٥.

خاتمة ١٢:٥ .١٤.

الرسالة الثانية

تجتذب هذه الرسالة القصيرة اهتماماً خاصاً من حقيقة أنها كتبت عندما عرف بطرس نفسه أنه قاب قوسين أو أدنى من الاستشهاد، وحيث أن الرسول كان يواجه نفس الميتة التي أنبأه المسيح بها، كانت القداسة هامة جداً له وهو يتوقع خلوداً مجيداً. لاحظ كيف أن بطرس يركز على كمال الله، ومجد المسيح، والعواقب المريعة للخطية، وجلال الدينونة الآتية. وبعد حياة حافلة بالألم، ومع اقتراب موعد آلام الصلب، يبتهج بطرس باختياره لخدمة المسيح، ولذلك فنصيحته الأخيرة والدائمة للكنيسة التي كان بطرس عموداً قوياً لها هي: «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح». وشهادته الأخيرة للاهوت ربه، موجودة في تسبحة الشكر التي يقدمها الله – «له المجد الآن وإلى يوم الدهر آمين» (٢بط ١٨:٣).

ومع أن الرسول يوقع باسمه في بداية رسالته الثانية (٢بط ١:١)، إلا أنه ليس هناك سفر آخر في العهد الجديد تحوم حوله الكثير من الشكوك فيما يتعلق بكاتبه مثل هذه الرسالة، ليس هدفنا أن نبحث في صحة أو عدم صحة الاعتراضات المثارة بالنسبة لكتابة بطرس للرسالة، إن هذه الحقائق كافية من وجهة نظرنا:

كان الكاتب رسولاً ليسوع المسيح ١:١.

كان الكاتب واحداً من الثلاثة الذين كان لهم امتياز التواجد على جبل التجلي ١٦:١-١٨ . كتب الكاتب رسالة سابقة إلى نفس المجموعة من الناس ١:٣.

وعلى الرغم أن أسلوب بطرس مختلف عن الأسلوب المستخدم في رسالته الأولى، إلا أننا يجب أن نفهم أن الغرض مختلف في كل واحدة عن الأخرى. كتب الرسالة الأولى لتشجيع وتقوية المقدمين للمحاكمة والواقعين تحت الاضطهاد، والهدف من الرسالة الثانية تحذير المؤمنين من المعلمين الكاذبين وتعاليمهم الفاسدة والمفسدة (انظر ٤:١، ١٢:٢، ١٩،٢٠). ويمكننا أن نلاحظ ثلاثة أقسام في الرسالة:

١- الفساد الأخلاقي ١:١-١٤ العدد الرئيسي ٤:١.

٢- الفساد التعليمي ١٥:١-٢٢:٢ العدد الرئيسي ١:٢ .٢ .

٣- الثبات بالرغم من الفساد العدد الرئيسي ١٧:٣.

السمات الرئيسية للرسالة

وصف الفضائل المسيحية ٥:١-٨ .

قيمة معرفة الرب ٢:١، ٣ .٥ .٨ .٢، ٢٠:٢،٣:١٨ .

ضرورة الاجتهاد ٥:١، ١٠، ١٤:٣ .

بركات الذكرى ١٢:١ .١٣ .١٥، ١:٣، ٢.

مدح رسائل بولس ١٦:٣ .

إشارة مؤثرة عن سن بطرس المتقدم والموت المحدق به ١٤:١.

ولأن بطرس يهيمن على الأناجيل وعلى الجزء الأول من سفر أعمال الرسل، فإن تغطيتنا لطرقه، وكلماته، وأعماله كانت مطولة بأكثر من الاهتمام الذي أوليناه لكثيرين

آخرين من بين الاثنى عشر. ونحن نحب رفقته، فهو يشبهنا إلى حد كبير. ولكن بطرس مازال حياً، ليس فقط في السجل الكتابي لحياته وأعماله، وفي الرسالتين الثمينتين اللتين كتبهما، ولكن أيضاً في الآلاف التي لا حصر لها من الرجال الذين يحملون اسمه المبجل، وبالمثل في الأعداد غير المعروفة للكنائس التي تحمل اسم القديس بطرس.